COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0315146642

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

2161

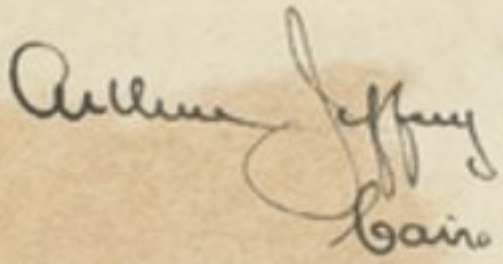

كتاب

الازهار البهية

في

القصص الهندية

طبع بنفقة جمعية الكراريس البريطانية
بيروت ١٨٧٩

GR
275
.K58

249-250

الفصل الاول

الحلة البهية

حكي ان رجلاً من متوظفي الحكومة يسمى فاجرًا جلس في بيتهِ مساء بعد نهاية شغلهِ اليومي وكان قد حصل على راحة الجسد الأ انهُ كان قلق الافكار . ولهُ امراة لطيفة مطيعة اسمها كاسيتي جالسة حذاءهُ . وكانت قد آمنت بالانجيل ايمانًا قلبيًا منذ زمن طويل وصرفت عدة اشهر وهي مومنة قبلما سمح لها زوجها بان تعتمد وكان يهينها دائمًا ويشتمها وهي لم تجب بشيء ويظهر لها الجفاء وهي تظهر المحبة الى انها اظهرت ايمانها بسيرتها اللطيفة ونالت الغلبة بصبرها الغريب

اما فاجرٌ فلم يقتصر على الرضى باعتماد زوجتهِ فقط بل قرأ ايضًا كتابها المقدس وطالعهُ باجتهاد ورغبة

مقابلاً العهد القديم بالجديد حتى اقتنع هو ايضاً بصحة الديانة المسيحية وصدقها فاستنارت نفسهُ وآمن بيسوع المسيح الا انهُ لم يقبلهُ كذبيحة عن الخطية

فقال لامراتهِ وهي جالسة عند قدميهِ والكتاب في يدها ان ذبيحة كهذه على كل حال لا يحتاج اليها الذين يسلكون بالاستقامة وخوف الله. وانهُ عارٌ عليَّ ان اقول ما تعلم المسيحيون ان يقولوهُ ارحمني يا الله انا الخاطي . فانني لست بخاطي ٭ بل رجلاً صالحاً ومستقيماً وبحكم الناموس المنطوي عليهِ الكتاب المقدس. ولي استطاعة ان ارفع راسي امام الله والناس . فاني اخدم الله بالصوم والصلاة ولا اغتصب احداً بل امنح المساكين صدقات عظيمة

اما كاسبتي فلم تنهه بكلمة بل كانت تقرا بسكوت وتردد في بالها هذه العبارة لو لم يمت المسيح لاجل الخطاة لما كان لي سماء

وكان ذلك المساء حاراً جداً وحركة المروحة

المتموجة بلطف فوق راس فاجرٍ انعستهُ فاغمض عينيهِ واعتراهُ السبات ملقيًا على وسادتهِ . وحينما استغرق في نومهِ راى حلمًا كانهُ في يقظة فظهر لهُ ملاك جميل مرسل من السماء مظلل بالمجد وعلى راسهِ تاج لامع يرفرف باجنحتهِ الفضية فتتساقط منها نجوم كسيول مطر منسكبة على الارض فارتعد فاجرٌ من منظر ذلك الملاك النقي المقدس السابح امامهُ في الهواء بدون ان يمس الارض بقدميهِ اللامعتين

فناداهُ الملاك بصوتهِ المطرب قائلاً يافاجر انك مدعو الى وليمة الفردوس فخذ هذه الحلة البيضاء التي اذا بقي بياضها كما هو امكنك ان تكون اهلاً للوقوف في حضرة الملك العظيم حين ظهورهِ . ولكن احذر من الخطية لان كل خطية ستكون كنقطة قذرة على هذه الحلة . فاحفظها بيضاء كما هي يومًا واحدًا فستكون كل افراح الفردوس جزاءك الابدي . وبينما هو يتكلم بهذا طرح على فاجر تلك الحلة البهية البيضاء كالثلج وحينئذٍ لمس

هديها فظهر على الهدب قولهُ تعالى مكتوبًا باحرف
ذهبية اتقِ الله واحفظ وصاياهُ جا ١٢: ١٣ — ٢٢ فحدّق
فاجر الى ذلك عجبًا وفي الحال اختفت تلك الكتابة
فالتفت الى الملاك فاذا هو ايضًا قد غاب عن عينيهِ وما
بقي امامهُ شيء سوى تلك الحلة التي كان لابسها في حلمهِ
وحينئذٍ امتلأت نفسهُ بالرجاء والظفر وصاح من جرى
ذلك قائلاً انني قد حفظت الوصايا منذ حداثتي فهل
اكسرها الآن وقد اقترب ثوابي . فيوم الامتحان واحد
فقط وبعد ذلك ارفل في حلتي في بستان الجمال
السماوي واتمتع بمشهد رفقاء نظير هذا الملاك الذي ترك
السماء ليحمل اليَّ تلك الرسالة المستقيمة التقوية ثم تغير
حلمهُ حتى ظن انهُ استيقظ ليذهب الى عملهِ اليومي كجاري
عادتهِ فبقي لابسًا الحلة الخفية التي الفاها عليهِ الملاك ولم
تكن افكارهُ متجهة بعد ذلك الى الفردوس ولا الى تلك
الرسالة . فالى اي شيء ياترى كانت متجهة . فان نقيًا
كهذا يترجح انهُ بوجه افكارهُ الى امور مقدسة حين تحملهُ

اشعة الشمس الاولى على تقديم الشكر لله على راحة النوم
والوقاية مدة الليل . ولكن لم يكن الامر كذلك بل ان
افكاره كانت منصبة بجملتها نحو ارباحه العالمية . فانهُ
كان منذ زمن طويل معلنًا قلبهُ على اقتناء قطعة ارض
لجارٍ لهُ يدعى ابرهيم ومؤكدًا انهُ بواسطة امتلاكها يحصل
على ارباح جزيلة وابرهيم كان دائمًا يتمنع عن اجابة طلبهِ
فتصوَّر في حلمهِ ان جارهُ المذكور قد مات بغتةً في تلك
الليلة وخلَّف ولدًا وحيدًا وهذا الفكر جعل لهُ رجاء
عظيمًا انَّ الارض تباع لانها كانت تحت حمل ثقيل من
الدين . وقال في نفسهِ ان قيمة تلك القطعة تساوي على
الاقل اربع مئة ريال وانا سابذل جهدي في ان
اشتريها بمئتي ريال وساحتال ايضًا على الحاكم حتى
اجعلهُ يشتريها ليصنعها جنينة لنفسهِ لانها ملاصقة دارهِ
ولذلك سيدفع ثمنها مبلغًا وافرًا من الدراهم وان لم
اصبّر مئتي الريال قبل نهاية هذه السنة سبع مئة فانا
اقل دراية وفطنة مما احسب ذاتي ثم ضحك في قلبهِ بُعيد

ذلك لاجل ربحهِ المضاعف الذي حصل عليهِ اولاً بامتلاك الارض ثم ببيعها . فانتهى سرورهُ بغتةً اذ وقع نظره على حلتهِ العجيبة فصاح قائلاً انني اعلم ان هذا الرداء كان انقى من الثلج فمن اين حلت عليهِ هذه الاقذار وفي الحال ظهر جواب سوالهِ بكتابة قولهِ تعالى على ذيل الرداء «محبة المال اصل كل الشرور» وفي لحظة انمحى اثارها فسقط فاجر حينئذٍ مندهشاً ومتالماً وكان قد سمع كثيراً من مبشر مسيحي ان ديانة الرب يسوع تصل الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ وتميز افكار القلب ونياتهِ . ولكنهُ حتى هذا الوقت لم يشعر بان الطمع خطية في ذاتهِ وان لم يَقُد الانسان الى تعدٍ ظاهر على نواميس الله والناس

واذ كان يرجو انهُ بواسطة صلواتهِ يرد تلك الحلة الى بهجتها الاصلية جثا على ركبتيهِ واخذ يكرر صلاةً طويلة بتضرعات وتوسلات وتقديم المديح بصوت المرارة وتحريك الشفتين فقط واما القلب فبقي عازماً على الطمع

بذلك الحقل واخذ يفتكر كيف يمكنهُ اقناع اوصياء
اليتيم بان الارض قليلة الاهمية وبخسة الثمن وانهُ باية
واسطة يجعلها ذات قيمة عظيمة عند الحاكم لكي يدفع
ثمنها مبلغًا وافرًا وبينما هو يطلب بلجاجة ويكرر الاسم
المقدس في صلواتهِ سقطت على الحلة نقطة حبر ولما راى
ذلك نهض بغتةً من ركوعهِ وصرخ في ياس قائلاً هل
يمكن ان اخطئ في الصلاة نفسها. وفي الحال ظهر على
الهدب كلمات قد نطق بها القدير ذاتهُ من وسط
البروق والرعود على جبل سينا وهي «لا تنطق باسم
الرب الهك باطلاً لان الرب لا يبري من نطق باسمهِ
باطلاً خر ٢٠:٧» فقال فاجر بمرارة النفس لا افتكر
في هذه الحلة بعد لانهُ ان كانت افكاري قد تدنست
بالزلات فاعمالي على الاقل بلا لوم. ويكفي الانسان ان
يسير بالاستقامة لانهُ لا يقدر ان يتسلط على قلبهِ. وهنا
نرى اعترافًا بالنقص من انسان من اعظم المفتخرين
بذواتهم وهو ان القلب اصل كل مرارة حتى ان الناس

الاكثر استقامة ليس لهم قوة ذاتية على استئصالها

ثم حدث في حلمهِ انهُ وهو مزمع ان يذهب الى شغلهِ اتى اليهِ رسول بكتاب من مدينة دلحي فقراهُ والتفت الى زوجتهِ وقال يا كاسيتي ان هذه الرسالة تتضمن اخبارًا سارَّة وهي ان حسينًا الذي هو راس عائلتي آتٍ من مدينة دلحي وسيقيم في هذه المدينة عشرة ايام فينبغي ان نقبلهُ باكرام فائق لانهُ رجل غني معتبر وموقر جدًّا في وطنهِ ولا بد لنا من اعداد الوليمة مدة اقامتهِ عندنا . وسوف اعلي ابوابي وادعو مئات من الناس من قريب وبعيد لملاقاتهِ

فاجابت امرانهُ برقة وقالت اه يا سيدي ان اجرتك ليست الاَّ مئة وخمسين ريالاً فكيف تعد الطعام لمئات من الناس. فقال انني ساقترض ما احتاج اليهِ. فقالت ياسيدي قد قال المبشر على مسمعي ان الدَّين كسلسلة لا يليق ابدًا ان يرتبط بها خادم الله . فصاح بها على الفور قائلاً ان حسن فصاحة المراة سكوتها .

فائتيني بالدواة والقلم فاكتب الى الصراف بطلب مئتين وخمسين ريالاً وانا اثق بانهُ سيرسل لي المبلغ في الحال حيث يعلم اني من متوظفي الحكومة

وبينما هو ماد يدهُ ليتناول القلم وقع نظرهُ على طرف حلتهِ الملطخة واذا عليها هذه الكلمات ،، لاتكونوا مديونين لاحد بشيء الاَّ بان يحب بعضكم بعضاً رو ١٣ : ٨ ،،

وكأن كاسيتي قد قرات ايضاً الكتابة حتى تجاسرت ان تقول ياسيدي اليس جيداً ان نترحب بنسيبك بالاكرام الواجب باقل خسارة وافتخار فان عندنا ما يكفي ليقدرنا على ان نربهُ حسن الضيافة ليس مدة عشرة ايام بل اكثر من ذلك باضعاف اذا كان يرتضي ان يعيش نظيرنا

فاجابها بصوت الغضب وقال اذا كان هو يكتفي بلقاء دني كهذا فانا لا اكتفي . وهل يحسن ان المتسلط على عشر قرى يأتي الى بيتي المرة الاولى ويجدني عائشاً

كالفقير وهل تريدين اينها الجاهلة الغبية ان تجعليني محتقرًا في عينيهِ . او لا تعلمين انهُ سيعود الى دلجي ويخبر كل الجيران ان الغنى والكرامة والذهب الكثير والاصدقاء العديدة نصيب نسيبي فاجر

وعند ذلك كان كأنَّ عاصفة غبار قد هبَّت فوق حلتهِ ثم نظر على طرف الرداء هذه الكلمات «قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح ام ١٦ : ١٨»

فاغتاظ في نفسهِ من ذلك وغضب اشد الغضب من نظرهِ دموع امراتهِ وعزم على الذهاب الى شغلهِ اليومي الى المحكمة كجاري عادتهِ . اما كلمات امراتهِ وان تكن لا اهمية لها عندهُ بتيت راسخة في ذاكرتهِ وهي ان الدَّين كسلسلة لا ينبغي ان يرتبط بها خادم الله وهذا امر منهي عنهُ في الكتاب المقدس . وعرف انهُ لا اضطرار لهُ ان يتعرض لذلك الاَّ ان الافتخار وفرط الرغبة في اكتساب المديح من الناس جعلاهُ يخضع ليرتبط مثل عبد في سلسلة الدين . ولما كان ذاهبًا قال في نفسهِ

سوف اتحرر منهُ عن فريب فلو كنت مدبرًا حاذقًا
لامكنني الحصول على قطعة الارض باقل من مئتي ريال
لان اقرباء ذلك الولد الوارث لا يعرفون شيئًا من
درايتي فينبغي ان اتم المبايعة سريعًا والاَّ فمحمود الذي
يتعرض في طريقي دائمًا نظير حية يسبقني الى مشترى
الارض لنفسهِ وانا اعلم انهُ منذ زمن يريدها فانهُ رجل
خاطف وقح وظهورهُ امامي كظهور ريح السموم للمسافر في
الصحراء وها هو آتٍ نحوي . وبالحقيقة انهُ ابصر محمودًا
نفسهُ في الحلم مقبلاً اليهِ. فقال محمود السلام عليكم فرد
لهُ فاجرٌ التحية بالاحترام التام مظهرًا لهُ كل محبة وداعيًا
لهُ بالصحة والتوفيق وفي قلبهِ تتقد نيران الحقد والعدوان
(وهنا لطخة الخبث والمكر والرياء قد لوَّثت الرداء)
فقال محمود وقد اعاق فاجرًا عن المرور هل سمعت
ان ابرهيم مات فجاةً . فقال سمعت ذلك. فقال محمود
ان وفور حظي اقتادني لرويتهِ امس ولو بقيت الى اليوم
لراينهُ جيفةً . واخر ما فعلهُ قبل موتهِ هو انهُ باعني قطعة

الارض الملاصقة بستان الحاكم قال هذا ولوائح الفوز والسرور تسطع على وجههِ وعلى شفتيهِ المبتسمتين فكان لسان حالهِ يقول لناجر المنعم غيظًا ها انا قد سبقت واشتريت قبل وصولك الحقل الذي اعلم ان قلبك كان متعلقًا بهِ وها هو الآن ملكي ولا تستطيع بعد ان تحصل عليهِ ولا ان تدوسهُ بقدميك . وعلى هذا افترقا بدون اظهار كلام الغيظ. الاَّ ان نفس فاجر كانت مملوة حسدًا وغيظًا من جرى الخيبة. فلطم بيديهِ وصر باسنانهِ ونظر الى ذهاب محمود بعينٍ مشتعلة بالبغضة . وقال في نفسهِ تبًّا لهذا الانسان كم هو مكروه في عيني

وحينئذٍ نهض في رعب لانهُ نظر الحلة البيضاء ملطخة بنقط حمراء كالدم وفي ذلك اللون مكتوبة هذه الكلمات «كل من يبغض اخاه فهو قاتل نفس وانتم تعلمون ان كل قاتل نفس ليس لهُ حياة ابدية ثابتة فيهِ ابو ٣:١٥ ». وقد كره الآن رداءهُ المدنَّس وودَّ ان يخلعهُ عنهُ ولكنهُ لم يقدر على ذلك لانهُ صار كجزء من

ذاتهِ . وكان ذلك الرداء برّ افتخاره الذاتي . وقد فتحت عيناهُ ليرى ان برهُ ليس الا خرقة نجسة اش ٦٤:٦ . على انهُ قد تنفتح العينان ولا يُبصِر القلب كما كانت حالهُ فانقطاع رجائهِ من قطعة الارض لم يقلل ميلهُ الى تحصيل الدراهم بطرق اخرى فتوغل في الافتخار والمجد الباطل

وراى في حلمهِ ايضًا انهُ جالس عند مكتبتهِ في مركز الحكومة وامامهُ الاوراق وبينها تذكرة من الرئيس فحواها انهُ يوجد رجلان طالبان وظيفة كاتب ثانٍ الواحد يدعى بطرس مسيحي المذهب وُصِف لي كثيرًا والآخر يدعى عباسًا وهو ابن تاجر غني . وبما انهُ ليس لي وقت لامتحنهما فاعرف اهليتهما للوظيفة اقتضى انني ارسلتهما اليك لتمتحنهما . وبعد ما القى التذكرة من يدهِ قال في قلبهِ الصحيح ليس لهُ وقت . فلو قال ليس لي معرفة كافية بالناس ولغتهم لكان احسن واليق . حينئذٍ دعا الحارس الذي كان واقفًا خارجًا وقال لهُ هل يريد احدٌ ان

براني. فقال الحارس نعم شاب يقال لهُ بطرس صار لهُ نحو نصف ساعة ينتظر امر سيادتك . فقال دعهُ يدخل وفي الحال دخل الشاب المسيحي وقدم تحية الاحترام

ان رئيس الكتّاب هذا الذي هو فاجر عينهُ ما كان يكره المسيحيين بل كان مقتنعاً بانهم متمسكون بالدين الصحيح وكان يقول انهم لو سلكوا حسب ما يومنون بهِ لكانوا اكثر الناس استقامةً وقداسةً . وكان قد عرف من امر بطرس شيئاً ما وتذكر انهُ هو الذي التزم مرةً ان يتكبد خسائر لاجل البر . فاستقبلهُ بحنو ولطف واخذ يمتحنهُ في الحساب وغيرهِ من القضايا المختصة بالوظيفة . فظهر لهُ انهُ اهلٌ لتلك الوظيفة وانهُ من الاذكياء الامناء لسرعة اجوبتهِ الصحيحة . الاَّ انهُ كان يعوزهُ شيء حسب راي فاجر . وان كانت كل اجوبتهِ مستوفية فلم تلح على وجه فاجر لوائح الرضى بعد فذلك الشاب كان ذا عقلٍ ثاقب وحكمةٍ فائقة لكن لاشيء في

يدهِ . فلذلك صرفهُ من حضرتهِ وافتكر في ان يرى عباسًا قبل اعطاء التقرير عنهُ للحاكم لانهُ كان سمع من الحارس انَّ عباسًا ينتظرهُ في مدخل الباب ثم استدعاهُ فحضر لديهِ

فشتَّان ما بين بطرس وعباس فان هذا كانت علامات الدهاء والمكر تلوح على وجههِ اكثر من ذكاء عقلهِ ولذلك كان يتجنب وقوع نظرهِ على نظر فاجر . ولما امتُحِن في الحساب برهنت اجوبتهُ القاصرة نقصَ معرفتهِ وعدم اهليتهِ للوظيفة . ولما رآهُ فاجرٌ على مثل هذه الحال كاد يصرفهُ فادخل عباس يدهُ في جيبهِ بتمهل وسحب كيسًا مملوًّا من الدراهم وناولهُ اياهُ

فلا حاجة الآن الى التكلم اصلاً في شان تنصيبهِ لان فاجرًا حصل حينئذٍ على ما يتمناهُ وما اعتاد تحصيلهُ وهذه ليست المرة الاولى ولا الثانية التي بها فاجر البار حسب دعواهُ قبل الرشوة

فتامل ايها القاري العزيز كيف ان خطية واحدة

تجلب الاخرى نظير حلقات سلسلة وانظر كيف ان افتخار فاجر افضى به الى الاسراف والاسراف الى الدين والدين الى الطمع والطمع الى الحسد والحسد الى الدناءة والدناءة الى الفساد . وكان عارًا على فاجر ان يستعد لاجل الدراهم ولبيع السرّ المكنون فيه من قبل سيده ليضحّي فوائد الخدمة الجمهورية و يظلم انسانًا مستحقًا

ولما تناول الدراهم شعر بالدناءة ونظر الى ذاته بعين الاحتقار حين وقع نظره على الكلمات المكتوبة على ذيل الحلة وهي ود السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة الراذل مكسب المظالم النافض يديه عن قبض الرشوة الذي يسدّ اذنيه عن سمع الدماء ويغمض عينيه عن النظر الى الشر هو في الاعالي يسكن اش ٣٣:٥ او ١٦،

وحينئذٍ وجد نفسه في حضرة الوالي يسأله عن الاثنين الطالبين الوظيفة

فسأله الوالي قائلاً هل فحصت الرجلين قال نعم قد فحصتهما ياصاحب السعادة . فقال الوالي ارجوان

بطرس كان الاكثر مناسبة للوظيفة لانهُ قد مُدِح لي
كرجلٍ يُركَن اليهِ للغاية

قال فاجر انهُ ربما كان رجلاً صالحًا غير انهُ ليس اهلاً للكتابة فقد وجدتهُ في كل ما يتعلق بالشغل اقل موافقة من عباس. فقال الوالي اذن عباس سيأخذ الوظيفة وعلى كلٍّ يجب ان الفائقة الجمهورية تعتبر اوّل كل شيء. فلم يسمع فاجر المذنب هذا الجواب لان الخوف والرعب اثّرا فيهِ كل تاثير والحلة التي كانت عليهِ تمزقت عند ما كان يتكلم كلام الكذب ورأى مكتوبًا على ذيلها باحرف نارية «و كراهة الرب شفتا كذب ام ١٢: ٢٢ جميع الكذبة نصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت رؤ ٢١: ٨». وفي تلك الدقيقة نظر ايضًا الملاك الذي قد البسهُ الحلة التي كانت بيضاء كالثلج. وصارت حينئذٍ ملطخة بالاقذار والادناس وصوت الملاك الذي كان لديهِ اطرب من الحان الموسيقى صار مخيفًا لهُ اكثر من البوق الاخير الذي صوتهُ يقيم الاموات

من قبورهم . فقال له الملاك بصوته الهائل ويلٌ لك يا فاجر فانك مدعو الآن لتظهر في حضرة الملك العظيم

فاعتراهُ خوفٌ ورعبٌ عظيم وارتعادٌ لا يوصف بعد ما كان واثقًا بنفسهِ ومتكلاً على برهِ الذاتي وقال في غباوة القلب انني استطيع ان ارفع راسي امام الله والناس

فكيف يتجاسر الانسان الدني المتستّر بثياب وسخة ان يقف امام رب المجد الذي عيناهُ الطاهرتان تكرهان ان تنظرا الجريمة. وكيف يستطيع ان يظهر في حضرة ذلك الملك الرهيب

فشعر فاجرٌ بانهُ يودّ ان يدعو الجبال لتسقط عليهِ والآكام لتغطيهُ وصرخ في مرارة الالم قائلاً يا الله ارحمني انا الخاطي حتى استيقظ لشدة صراخهِ وراى انهُ متكئٌ على وسادتهِ والمروحة تخفق فوق راسهِ وامرانهُ جالسة عند قدميهِ والكتاب المقدس لم يزل في يدها. فرفعت نظرها من الكتاب وقالت ان سيدي قد

اضطرب في رقادهِ . فاجابها بصوت الغم وهو برتجف
مما حدث لهُ في حلمهِ قائلاً آهِ يا كاسيتي كيف يمكن
خاطئًا مسكينًا ضعيفًا مجرمًا مملوًّا من الشر نظيري ان
يظهر امام الله . فامالت كاسيتي نظرها ثانيةً الى كتابها
وقرأت على مسمعهِ صلاة توبة داود في تلك الصفحة التي
كانت مفتوحة قدامها وهي قولهُ «طهرني بالزوفا
فاطهر اغسلني فابيضّ اكثر من الثلج قلبًا نقيًّا اخلق فيَّ
يا الله وروحًا مستقيمًا جدّد في داخلي مز ٥١: ٧ و ١٠»

فقال لها هل يقدر اولئك الذين قد تلطخت حلل
انفسهم ان يبيضوها ثانيةً . فلم تعرف بماذا تجيبهُ حينئذٍ
ولكنها اخذت تفتش الكتاب الالهي فرات ما قيل على
المباركين في السماء فاشارت حينئذٍ بسكوت الى قول
الملاك «هولاء هم الذين اتوا من الضيقة العظيمة وقد
غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف رؤ ٧: ١٤»

فطرح فاجر نفسهُ بتذلل امام الله وبقلب منكسر
وشعر بجسامة خطيتهِ واحتياجهِ الى مخلص عظيم . وراى

برهُ الذاتي كخرقة نجسة. واشتهى ان يتطهر بدم حمل الله الذي يرفع خطية العالم. وبعد قليل طلب ان يعتمد ليس بالمعمودية الخارجية فقط اي رش الماء على الجسد بل بالمعمودية الداخلية بالروح القدس الذي يطهر القلب

وحصل بعد ذلك على العفو والغفران والتحرر من لعنة الناموس ونال الرحمة بالمسيح يسوع ومن ثم جاهد بكل قوتهِ العالم الشرير واجتهد في ان يغلب الخطية والقلب المتكبر وشهوة الطمع والحسد والبغضة رافضًا الجميع. وصار من ذلك الوقت نافضًا يدهُ من قبض الرشوة ولاجمًا لسانهُ عن كلام الكذب وجميع الذين عرفوهُ ورأوهُ شهدوا باستنامتهِ ولم يفتر عن الصلاة ولا يملُّ من قولهِ يا الله ارحمني انا الخاطي

الفصل الثاني

الكنيسة التي بُنيت من لبنة واحدة

(١) كان ثلاثة رجال فعلة مساكين يأكلون خبزهم بعرق جبينهم. ويكادون لا يحصّلون ما يكفي عيالهم من الضروريات وكانوا جيرانًا واصدقاء بكل الفة واتحاد حتى انهم كانوا حيثما يكون الواحد يكون الآخران. وقد سمعوا بشارة الخلاص في وقت واحد من مبشر يدعى كوبال واعتمدوا منهُ في يوم واحد واعلنوا ايمانهم بان المسيح هو الرب. ومع انهم كانوا جميعهم مسيحيين في الاسم وعائشين في رتبة واحدة من الحياة راى بينهم الذي يعلم الخفيات ويرى ما تنطوي عليهِ الضمائر فرقًا كالفرق بين النور والظلمة. واتفق انهم وهم ذاهبون صباحًا الى العمل في احد الحقول مرّوا بمكانٍ يقرب من كنيسة

المبشر المذكور وكانت مبنية باسعاف حاكم انكليزي يسمى لوك وباموال مرسلة من انكلترا من المحسنين . فكان البناء يرتفع بالتدريج الاّ انهُ لم يسقف بعد . وبينما هو على تلك الحالة اذا بامطار غزيرة هطلت من السماء فازدادت مياه النهر وتعاظمت حتى فاض على كل جوانبهِ وهبت العواصف بقوة شديدة واطمت ذلك البناء ودمرتهُ كل تدمير وصيّرت ذلك المكان خلاء بلقعًا . وبعد زمنٍ قصير انقطع المطر واستمر النهر طاميًا في مجراهُ العاديّ

ولما اشرف الرجال الثلاثة على ذلك الخراب الفظيع وقفوا محدقين ومدهوشين مما جرى وقلوبهم مملوّةٌ من الحزن . فقال احدهم وكان اسمهُ عيسى داس يا لها من مصيبة قد حلت على كوبال . واي كدرٍ قد خامر قلب ذلك الراعي الذي كان بفروغ صبرٍ ينتظر ان يرى كنيستهُ مشيّدة ويتصور الوقت الذي فيهِ يجمع فيها شعبهُ كما يجمع الراعي قطيعهُ في الحظيرة

فقال يعقوب وهو احد الثلاثة انهُ سيبنيها ايضاً بقوة تصيرها اعظم مما كانت واحسن

فقال عيسى واسناه فمن اين تاتيه الدراهم ياصديقي فاني البارح سمعتهُ يقول وعيناهُ تذرف دموعاً انهُ يخاف من ان لا يكون لهُ مساعدة بعد من انكلترا لان الحاكم لوك الذي ساعدهُ في مبلغ وافر قد انعزل والحاكم مانتون الذي تنصَّب عوضهُ يابى ان يبذل بارةً واحدة في سبيل ذلك العمل

قال يعقوب انا اعلم يقيناً ان حاكمنا الجديد لهُ دار فسيحة جدًّا ومركبات حسنة وخيول جيدة وولائم فاخرة نظير امير ولهُ استطاعة ان يتصدَّق بمبلغ جزيل ولا ينقص مالهُ ولماذا لا يساعد في بناء كنيستنا فان كان كما تقول ياعيسى فهو بالحقيقة بخيل جدًّا

اجاب عيسى وقال ان ذاك قد قال للمبشر لما سالهُ ذلك كان على الشعب ان يبنوا الكنيسة ولا يتكلوا على مساعدة الغير

ولما سمع كونكارام وهو الثالث ويعقوب هذا الكلام اخذا في الطعن والقدح وفغرا فاهيهما بكلام القذف والشتيمة لذلك المامور الذي لا يساعد في عمل كهذا

يعقوب. كيف نقدر ان نبني كنيسة وليس لناسوى اكواخ صغيرة لوقايتنا من الحرّ القادح والبرد القارص واننا نكاد لا نحصل على قوتنا اليومي. والحق اقول اني ما تمتعت باكلة لذيذة مشبعة منذ عرس اخي الاصغر من مضي سنتين (ولما قال هذا تنهد لتذكرهِ تلك الوليمة العظيمة وما بها من انواع الماكولات الفاخرة المتعددة الاشكال لان وليمة كتلك كانت عندهُ من اعظم المسرات ولا يعلم انهُ هل يتمتع بمثلها مرةً اخرى)

كونكارام. لو كنتُ ذا منصبٍ غنيًّا لكنت اعطي كوبال الف ريال لاجل الكنيسة

يعقوب. لو اني ملك لبنيت كنيسة بنفقتي وجعلتها من اعظم كنائس الدنيا

عيسى داس. انني لا انتظر ابدًا ان اكون رئيسًا او

ملكًا لكن وان اكن فلاحًا مسكينًا اودُّ ان اضع لبنة واحدة في تلك الكنيسة (وبينما هو يتكلم التفت نحو الخراب). فقال لهُ رفيقاهُ ماذا تعني بهذا. اجابهما ياصديقيَّ اما وعظ راعينا كوبال نهار امس بقول الرب يسوع «مغبوط العطاء اكثر من الاخذ اع ٢٠:٣٥»

ولما سمعتهُ قلت في قلبي هل تلك الغبطة محصورة في الاغنياء فقط. اوليس على الفقراء ان يعطوا هم شيئًا

فقال كونكارام وكانت الدراهم لديهِ بمنزلة روحهِ. هم لا يمكنهم ان يعطوا. وانما عيسى لم يقتنع بهذه الكلمات بل قال اما تتذكر ياصديقي كيف ان الرب يسوع عندما وقف في الهيكل ونظر الاغنياء يلقون قرابينهم في خزانة الله ذهبًا كثيرًا وفضة وافرة نظر حينئذٍ ارملة مسكينة القت فلسين فقال لتلاميذهِ ان هذه الارملة المسكينة قد القت اكثر من الجميع لو ٢١:٣ ان الرب قد قبل تقدمتها لانها وان تكن قليلة كانت من القلب فانا احب ان اضع لبنة واحدة في تلك الكنيسة. وقبلما

اعتزل مع رفيقيهِ عن الموضع رفع قلبهُ الى الله وصلى سرًّا فقال يارب انت قلت انهُ يكون مغبوطًا المعطاه اكثر من الاخذ فساعدني ان احصل على تلك الغبطة لانك تحب تقدمة الفقير فارني الطريقة التي بها يمكني ان اقدّم لك شيئًا

(٢) وبعدئذٍ وصل الرجال الثلاثة الى مكان العمل وهو حقل ارزّ على جانب نهر عظيم وعلى الجانب الآخر من ذلك النهر دار المامور الجديد الذي حضر قبل ذلك الوقت باسبوع واحد مبنية بناء فاخرًا بالاعمدة البيضاء ومحاطة باشجار السرو والنخل العالية

فاشار كونكارام الى النهر وصرخ قائلاً انظرا هوذا راكبُ فرسٍ مزمع ان يعبر النهر

عيسى . يلوح لي انهُ غريب لا يعرف المخاضة

يعقوب . اذا كان لا يريد ان تاخذهُ المياه وتحملهُ في مجراها ينبغي ان يوجه راس فرسهِ الى جهة اليمين

فصاح عيسى باعلى صوتهِ بالرجل وقال لهُ الى

اليمين الى اليمين . وربما ذاك الرجل لم يسمع او انهُ سمع ولم يبالِ بانذار انسان فقير

كونكارام. ان هذا هو المامور نفسهُ فاني اعرفهُ من هيئة وجههِ وشعرهِ المسترسل

يعقوب . التفتا فانهُ يكاد يغرق لانهُ على ما يبان لي ان ارجل فرسهِ قد ارتفعت عن الارض وهو يغطس بجنونٍ في وسط المياه العميقة وسوف تاخذهُ المياه ويموت غرقًا

عيسى. لنسرع لنجاتهِ لاننا نعرف المخاضة جيدًا حتى نقدر ان نجدها في ظلام الليل

يعقوب . نعم ونحن نحسن السباحة كالبط

كونكارام . واذا انقذناهُ ستكون لنا جائزة عظمى

فهكذا قال الثلاثة ونزلوا في الماء مخاطرين بانفسهم ومسرعين لتخليص الرجل الغرقان

فعملهم كان واحدًا ولكن المقاصد مختلفة . فان كونكارام افتكر في المديح والجزاء. وعيسى لم يخطر

ببالهِ سوى كلمات الرب يسوع القائل «بما انكم فعلتم باحد اخوتي فبي فعلتم»

وقبلما وصلوا الى مكان الغرقان كانت المياه السريعة الجري قد خطفت الرجل من على السرج وانما بقيت رجلهُ الواحدة متعلقة في الركاب وافلت العنان من يدهِ وتمسك بعرف فرسهِ الذي كان يخبط على غير هدًى ولا ينظر منهُ فوق الماء سوى راسهِ. فالراكب المذكور كاد يعجز عن ان يصرخ للاغاثة التي كان في احتياج شديد اليها وهي قريبة منهُ. فاقتربوا اليهِ حالاً وقبض يعقوب على العنان بسرعة وكونكارام قدَّم مساعدة قوية وعيسى اجلسهُ في السرج وبالاجتهادات العنيفة والمخاطر الصعبة نجحوا في نجاة الفرس وراكبهِ واخرجوهما سالمين. ولما راى المامور ذاتهُ على البر سالمًا هو وفرسهُ من المخاطر التي كانت قد اكتنفتهُ نطق بكلمات غير واضحة ولا مفهومة عندهم

فافتكر عيسى ولعلهُ صواب ان مانتون المامور كان

يشكر الله لاجل نجاتهِ من الموت . ثم لطم براحتهِ رقبة فرسهِ المرتجف والتفت نحو منقذيهِ وقال لهم في لغتهم الخاصة يا ذوي النخوة والمروة ان ما عملتموهُ معي لا يذهب بدون جزاء فاتبعوني الى البيت. فقالوا حسب امرك السامي نفعل

كونكارام. هذا هو اليوم السعيد فتبعوهُ جميعهم الى بيتهِ الجميل وهم يقولون لسنا بعد فقراء ولا نحتاج ان نحصّل خبزنا بعرق وجوهنا

يعقوب الاكول . اننا سوف ناكل شيئًا احسن من الارزّ الذي ناكلهُ يوميًا ولا لذّة فيهِ (مصورًا امام عينيهِ اكلة مريّة) وانني اشعر الآن بسمنٍ نظير انسان مترفه . قال هذا وطبّل على بطنهِ بيديهِ وحينما وصل المامور الى بيتهِ دعا احد خدمهِ وامرهُ ان ياتيهُ بالدراهم وفي الحال احضر بين يديهِ كيسًا مملوًّا فضة وقبلما ترجل عن فرسهِ اعطى لكل واحد من الرجال الثلاثة ريالاً ولما قبضوا المال قدموا لهُ تحيات الشكر وانقلبوا راجعين . الاّ ان

دودة الطمع بقيت تنهش في قلب كونكارام فكان يقول أبثلاثة ريالات فقط ثمن هذا المامور نفسهُ . فالريال الواحد لا يوازي تبلل ثيابي الى وسطي . فضحك يعقوب لتذمُّر رفيقهِ وقال ان الريال الواحد كافٍ على كل حال لان اشتري بهِ فطورًا جيدًا جدًّا حسب المرغوب وليس عليَّ اليوم شغل بعد فانني سامضي الى السوق وانتمتع باكلة كتلك التي قد اكلتها في عرس اخي . فقال لهُ كونكارام وهو يصرُّ ريالهُ في طرف ثوبهِ آه انك انسان بدون حكمة اذا كنت بالحقيقة تصرف كل دراهمك على اكلة واحدة ولكن يعقوب قد صم اذنيهِ عن استماع اقاويل صديقهِ وكأن رائحة الطعام الذكية قد عبقت في انفهِ وجذبتهُ اليها عن بعدٍ حتى كان يسرع في مشيهِ نظير الجمل العطشان الذي حينما يتنشق رائحة الماء في الصحراء يهرول مسرعًا نحو البئر . فقال كونكارام لعيسى وانت هل تصرف دراهمك هكذا . فتبسم عيسى وقال لا . وكان يقول في نفسهِ ان الرب قد استجاب

صلاتي حتى اضع انا الفلاح المسكين لبنةً في تلك الكنيسة

(٢) وفي مساء ذلك اليوم كان المبشر كوبال ومبشر انكليزي يدعى لوقا ذاهبين لينظرا خرابات تلك الكنيسة التي هُدِمت بالزلازل ولما راى كوبال ذلك الخراب الهائل نظر الى لوقا بدموع والتمس منهُ ان يمد نحوهُ يد المساعدة في هذا الكرب العظيم كجاري عادتهِ . فقال لوقا انني حزين جدًّا على سقوط كنيستك ولكنني لا استطيع في هذا الوقت ان اطلب مساعدة ثانية لاجلك من انكلترا ولا اقدر ان اساعدك بمالي لان لاشيء في طاقة يدي وفي السنة الماضية جمع لك اهل ابرشيتي التي هي بقرب لندن قدرًا من المال والبعض من تلاميذ المدرسة الذين هم على اقصى درجة من الفقر قد اعطوا دراهمهم التي كانوا ياخذونها لمشترى بعض الاثمار والمحالي . وقد سمعت ان امراة عمياء تكاد لا تقدر على تحصيل قوتها بالشح لقيام حياتها الضرورية بعمل

الصنارة ومع ذلك رات انهُ يمكنها توفير شيء يسير لمساعدة عمل الرب في بلادٍ بعيدة

فاذا كانت هذه تعتني ببناء كنيسة لم تدخلها قط . وفي اقبال اناس الى الرب لم تنظرهم أفلا يجب على رعيتك ان يتمثلوا بها في الغيرة والاجتهاد . وهل يظنون انهُ حسن ان يجلسوا طاوين اليدين مثل الاولاد وينتظروا الاعالة من الآخرين وهذا هو الوقت الموافق للمسيحيين الوطنيين ان يتعلموا المثل القائل "ساعد الله يساعد الذين يساعدون ذواتهم"

ولما سمع كوبال ذلك هزَّ راسهُ وتنفس الصعداء وقال قد تكلمت مع الشعب مرات متوالية بهذا الموضوع وكان اصغاؤهم كمن لم يسمعوا قط فاشبههم بشجرة تحمل الاوراق فقط ولا اثمار على اغصانها هذا فضلاً عن ان شعبي فقراء

فقال لوقا اما قيل كيف ان الفيليبيين في اختبار الضيقة الشديدة فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق لغنى

سخائهم لانهم اعطوا حسب الطاقة نعم وفوق الطاقة من تلقاء انفسهم ٢كو ٨: ٣و٤ ولا ننتظر حلول بركات روح الله الغزيرة على الكنيسة الهندية حتى نرى فيها روح السخاء وانكار الذات

فقال كوبال لقد اصبت لقد اصبت

فقال لوقا ليس كل شعبك فقراء لان بينهم اصحاب وظائف ورتب عالية في الحكومة لهم مرتبات عن كل شهر مبالغ وافرة افلا نقدر ان نقنعهم ان يعطوا اقلهُ عشر مرتباتهم ذلك الذي اعطاهم كل شيء كما كان يفعل كل يهودي في الايام القديمة . فهل يليق ان المسيحيين يفعلون لاجل ديانتهم اقل مما كانت اليهود تعملهُ

كوبال . المتوظفون يحتاجون الى بيوت جميلة وزوجاتهم يحتجنَ الى حلى ثمينة . فاذا كنا ننتظر تجديد بناء هذه الكنيسة من تقدمات الشعب الاختيارية مثل اليهود في اورشليم والمسيحيين في فيلبي فسوف نبقى بالانتظار حتى تنشف مياه ذلك النهر . وبينما هو يتكلم

بهذا اقترب رجل فقير منهُ وقدم لهُ تحية الاحترام وقال هل يؤذَن لي ان اكلم المبشر كلمة

فقال لوقا . ان هذا الرجل لا بد لهُ من طلب حاجة لان هولاء الناس دائمًا يصرخون قائلين هات هات

ان كلمات لوقا الرجل الانكليزي التي سمعها عيسى داس وهو مقترب منهما كانت كسهمٍ خرق قلبهُ والتفت الى راعيهِ ومد يدهُ وقدم لهُ ريالاً . فسالهُ راعيهِ ما هو قصدك بهذا وماذا تريد ان افعل بهِ . قال هذا وهو متعجب مما جرى . فاشار الرجل المسكين باصبعهِ نحو الخراب وقال اروم ان اضع لبنة واحدة في تلك الكنيسة

ولما راى لوقا ذلك اعترتهُ الدهشة وقال انهُ لامر غريب وعجيب فاني ما سمعت قط مثل هذا في هذه البلاد قبلاً. هل يقدر رجل كهذا محدودب الظهر متزرًا بثوب رثيث ان يوفّر مبلغًا هذا مقدارهُ واخذتهُ الحيرة من هذا الامر وخامرهُ الشك وافتكر في نفسهِ ان الرجل

سارق ذلك الريال لامحالة . فقال لهُ عيسى يا سيدي مالي اراك في ريب من نحو عبدك فان عبدك اليوم بمساعدة كونكارام ويعقوب قد خلّص حياة مائتون المامور من الغرق وبذلك قد نال هذا الريال وهكذا كل واحد من عبديك الآخرين

لوقا. وانت نذرت ما اخذتهُ لبناء كنيستك

عيسى. انني قد اعطيتهُ الرب الذي احبني وبذل نفسهُ لاجلي ولما قال هذا ودّعهما ومضى بقلب مملو من الفرح والسرور . ولما رآهُ لوقا على مثل ذلك قال في قلبهِ يا الله اغفر لي لاجل ما حكمتُ بهِ على هذا الرجل من الشك في عدم صدق نواياهُ في شان الدراهم فالشكر لله على انَّ في هذه البلاد رجالاً نظير هذا الفلاح المسكين

ان اشعة نور السرور والرجاء قد لمعت على وجه كوبال وقال انني سازور المتوظفين مرة اخرى وانظر لعل مثال هذا المسكين يحركهم ليعطوا من فضلاتهم كما

قد اعطى هو من اعوازه ولكن لنطلب اولاً من الرب ان يفتح قلب شعبي

(٤) وهل ازداد عيسى داس فقرًا بسبب ما اعطاهُ لله . لا . فان هذا الفكر لم يخطر ببال انسان من الذين صادفوهُ راجعًا الى بيته والسرور بلوح على وجهه وعلامات الفرح تبدو في كل حركاته فان زهرة الفرح الجميلة الغنية قد نمت على علبقة انكار ذاته وهذه الزهرة تفتح الآن في هذا العالم ولكن الاثمار ستجمع في الاخير

وبينما هو سائر في الطريق الى كوخه والغبار منعقد فوق راسه كان كلما راى شيئًا يزداد سروره فنظر الى الشمس حين غروبها وهي تلمع بنورها الذهبي وقال ان النور هو عطية الله . ثم راى ايضًا المواشي العطشانة واردة على النهر فقال في نفسه الماء ايضًا عطية الله . وقد تذكَّر المنح الخصوصية التي انعم بها الله على الانسان وقال الاعين للنظر والاذان للسمع والايدي للعمل والارجل للمشي وهذه جميعها هبات الله . فالآب

العظيم في السماء يسرُّ بالعطاء وقد بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يومن بهِ بل تكون لهُ الحياة الابدية يو٣: ١٦ وهو قد دعانا لنكون اولادهُ أفلا يجب ان تكون الاولاد كما الاب ونسرُّ بالعطاء ايضًا نعم ان العطاء بالاختيار وبسخاء وبسرور هو حق اولاد الله

ولما اقبل على بيتهِ الحقير اسرع لملاقاتهِ ولدهُ الصغير المحبوب وفي يدهِ زهرة صغيرة كان قد قطفها ليقدمها لابيهِ فاعتنقهُ ابوهُ وقبلهُ وتناول الزهرة من يدهِ بتبسم الرضى كانها كوهانور (اسم الماسة تلبسها ملكة الانكليز وهي اعظم جوهرة في العالم) فقال ان ابني هذا المحبوب هو ايضًا هبة الله

وحينما دخل بيتهُ الدني وجد ان امرانهُ لاكاد بلي كانت معدَّة لهُ العشاء باعتناء حسب الامكان فان الطعام كان بسيطًا للغاية لكنهُ قبل تناولهِ ذلك بارك الله مقدمًا لهُ الشكر كما لو كان جالسًا حول وليمة. وحينئذٍ اخبر زوجتهُ بكلما حدث لهُ لان امرانهُ كانت

مسيحية ايضًا وكانت تشاركهُ في افراحهِ واحزانهِ حتى لم يكن احدهما يخفي عن الآخر شيئًا. فمحبتهما احدهما للاخر كانت ايضًا بركة من الله

ولما سمعت امرانهُ خبر الجائزة التي نالها من المامور استنارت عيناها بالفرح لانها افتكرت انهُ يشتري لها ازارًا جديدًا او دمالج ليديه ولدها العزيز الصغير . ولكن لما اخبرها انهُ اعطى الدراهم ثمن لبنة في الكنيسة ما تكلمت شيئًا مضادًا لانها كانت امراة فاضلة وتقية بل ان ذلك العمل قد زادها بهجةً وفرحًا وقالت آهِ ياقريني انك لقد فعلت حسنًا لان الاعمال الصالحة هي السلَّم التي بواسطتها يصعد الى السماء الناس المقدسون نظيرك . فاجابها قائلاً هل تظنين انهُ بواسطة اعمالنا الصالحة نستطيع الصعود الى السماء نحن الخطاة البائسين فما ذلك الاَّ كما لوجمعنا كومة من نواة التمر وازمعنا الصعود عليها لنصل الى شمس الظهيرة . فالسماء هي عطية المسيح المجانية التي اشتراها لنا بدمهِ الكريم فعلينا ان نشكرهُ

لاجلها ونحبهُ نظير محبة هذا الولد الصغير لي ولتكن نفدماتنا كهذه الزهرة التي قد جناها ولدي العزيز ليضعها في يد ابيهِ

(٥) وعندما فرغ من مناولة الطعام دخل اليهِ رجلٌ واقترب منهُ وكان الظلام قد ارخى سدولهُ حتى لم يستطع عيسى ان يتحقق معرفة ذلك الشخص من مجرد النظر. الاَّ ان نغمة الصوت اوضحت لهُ انهُ كونكارام حيث قال حال وصولهِ هل عرفت ماذا جرى لرفيقنا يعقوب . قال هذا وانكأَ على الارض بجانب عيسى . فاجاب عيسى قائلاً انني لم اعد انظر صاحبنا من الصباح حينما خرجنا من عند المامور واخذ كلٌ منا ريالاً

فقال كونكارام وحاسيات السرور في قلبهِ قد غلبت الحزن مسكين يا يعقوب أَما انذرتهُ وقلت لهُ انهُ بدون حكمة اذا كان يصرف كلما نالهُ من المامور على الاكل . فكان لهُ ذلك الريال اللامع كبطيخة تحتها

حشرة خبيثة مد يدهُ ليقطف الثمرة فلسعتهُ

عيسى . ماذا تعني بهذا

كونكارام. ان يعقوب حالما قبض المال اسرع الى محل الاكل واشترى بما كان معهُ عدة انواع من الماكولات الحلوة وشرع ياكل حتى امتلأ وحينئذٍ شرب من المسكر الى ان غاب عن رشدهِ . فصرخ عند ذلك عيسى بشدة الحزن واسفاهُ ان يعقوب قد جلب على الاسم المسيحي عارًا لا يُمحى

فما الفرق بين عيسى وكونكارام الذي لم تتحرك في قلبهِ مطلقًا حاسيات الغم ولا تأثر من سقوط اخيهِ بل بالحري كان ما جرى سبب فرح عندهُ

واستمر كونكارام يقصّ خبر يعقوب الى ان قال انهُ صار كالمجنون من جرى السكر وهجم على حمّالي تخت الحاكم واثبًا عليهم بشراسة كالوحش المفترس وكان في التخت المامور نفسهُ . واذ قال هذا ضحك حتى استلقى على قفاهُ .ومن المقرر انهُ لسبب ذلك قد أُودع يعقوب

في السجن وهكذا كانت نهاية اكلة طالما تمناها وهذا هو الخير العظيم الذي نتج له من ذلك الريال. وحينئذٍ اخذ عيسى يفتكر في قول سليمان «بركة الرب هي تغني ولا يزيد معها تعبًا ام ١٠: ٢٢»

ان يعقوب المسكين لم يطلب بركة ولا بالى الاَّ باشباع شهواته الجسدية فاحاط به الحزن والخزي اذ لم يراعِ سوى لذاته. ثم التفت الى كونكارام وقال ياصديقي اياك ان تصرف ريالك هكذا . فقال كونكارام انا لا اصرفه ولا ابدّد دراهمي بالسرف بل اجمعها واخزنها لان الغرش ليس هو الاَّ عدة بارات وعدة غروش تصير ريالات وعدة ريالات تصير ليرات وكما يقول المثل «بالصبر تصير ورقة التوت حريرًا» وعند ذلك خفض صوته والتفت حوله خيفةً من وجود احد وقال لماذا اخفي عنك سرًّا قد اودعنه يعقوب وهو ان ليس ريال المامور فقط في كيسي الآن فانه قد تضاعف ثلاث مرات وذلك بواسطة اعتنائي وشدة حرصي واذا ساعدتني

الاحوال الى نهاية هذه السنة اجمع ريالات بمقدار عدد اصابع يديّ ومدّ يديّ

فقال عيسى حينئذٍ واية منفعة تنتج لنا دراهمنا اذا كنا نخزنها اما سمعت قول الرب يسوع «لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب سارقون ويسرقون مت ٦: ١٩ و ٢٠»

فانَّ كونكارام من شدة الكلال وقال متضجرًا لا تعظني بل عظ ذاتك او ما سمعت ما قيل

عليك نفسك فتش عن معايبها
وخلِّ عن عثرات الناس للناسِ

واني متيقن ان ذاك الريال باقٍ معك الى الآن فتبسم عيسى وقال لا بل قد صرفته

كونكارام. اذن هل ذهبت الى السوق واشتريت

بهِ شيئًا

عيسى . لم اشترِ شيئًا يا صديقي

كونكارام . اذن اضعتهُ

فقال عيسى . وعلامات السرور تلوح على وجههِ انهُ لم يضع

كونكارام. اذا كنت ما خبأتهُ ولا صرفتهُ ولا اضعتهُ فتكون قد تصدقت بهِ فهل جننت ووهبتهُ احد جيرانك الفقراء قال هذا لانهُ لا يريد ان يتصدق ولا على اخيهِ الخاص ببارة واحدة

فقال عيسى في نفسهِ انني قد اعطيتهُ من افتقر لاجلنا وهو غني

كونكارام . واذا كنت اعطيت دراهمك انسانًا غنيًّا ولم تستوفِ مالك اخيرًا مع ربًّا فانك جاهلٌ لا محالة

فرفع عيسى عينيهِ نحو السماء وقال في قلبهِ نعم نعم

انهُ يوجد ربح واي ربح هناك اروم ان اضع كنزي

(٦) وفي مساء اليوم التالي صنع الحاكم مأدبة فاخرة ودعا اليها جميع متوظفي الانكليز ومن جملتهم المبشر لوقا

ولما جلسوا حول المائدة دارت بينهم احاديث احوال متنوعة ومن جملة تلك الاحاديث اخبار اوروبا الاخيرة واحوال المحصولات وسفرات المامور

فالتفت لوقا الى المامور وكان جالسًا مقابلهُ فقال بلغني انك قد اوشكت الغرق نهار البارح . فقال نعم فانني لما كنت مزمعًا ان اعبر النهر ضللت عن المخاضة وعند ما خضت في المياه التفت حولي وخطفتني عن السرج وانما بقيت رجلي الواحدة متعلقة في الركاب وحينئذٍ غبت عن الصواب من شدة ما المَّ بي من الاضطراب وماشعرت قط في كل حياتي بقرب نهاية اجلي نظير ذلك الوقت اذ لم احسن السباحة وبالحق اقول انهُ لو لم يداركني ثلاثة رجال هناك ويسرعون لنجاتي لما

كنت جالسًا الان حول هذه المائدة

فقال لوقا بلغني ايضًا انك اعطيت كل واحد منهم ريالاً

فقال ان تلك الريالات كانت عليهم وبالاً وسوء حظ

فقال لوقا وكيف كان ذلك وعند سوالهِ سكت جميع الحاضرين ليسمعوا الحديث

فقال المامور ان واحدًا من اولائك الرجال اشترى بما اخذهُ مني خمرًا وسكر في مساء البارح حتى انهُ هجم بالعصا على حمالي تختي عند رجوعي الى البيت وكان هائجًا جدًّا حتى التزمت ان ارسلهُ الى السجن

فقال لوقا ولكن الاخر صنع في ريالهِ فائدة تختلف كثيرًا عن هذه

فقال المامور المعني انهُ ما استعملهُ قط وانما مجرد وجود الدراهم في يدهِ جلب عليهِ الحزن

وكان في ذلك المحفل احد قواد العساكر فقال كيف هذا

قال مانتون شاع ان هذا الرجل الذي يدعى كونكارام جمع بعض دراهم فلسًا بعد اخر اسبوعًا بعد اسبوع وشهرًا بعد شهر لكن لا احد يتاكد بل يصعب التصديق ايضًا انهُ من محصولات جزئية بهذا المقدار يمكن جمع مبلغٍ وافرٍ . وانما يعقوب بيَّن الامر في سكرتهِ وهو انَّ صاحب حانوت الاكل كان كونكارام ذاتهُ الذي قبض مني الريال نظير يعقوب . ولعل بتنقل الخبر ازداد الريال الواحد حتى صار عشرة

فقال لوقا ان ذلك محتمل . فقال كيفما كان الامر التزم كونكارام المسكين بان يخسر كثيرًا بسبب غرامهِ في المال لانهُ في نصف الليل دخل بعض اللصوص الى كوخهِ وفتشوهُ ولكنهم لم يجدوا فيهِ شيئًا في اول الامر وقد عزموا ان يصلوا الى الكنز المظنون فما كان منهم الاَّ انهم قبضوا على كونكارام المسكين وعاملوهُ بالقساوة

المفرطة والعذابات الصارمة حتى انهُ من شدة ما قاساهُ من الآلام اخبرهم بالمكان الذي كان كنزهُ فيهِ . وفي اثناء ذلك علا صراخهُ حتى بلغ مسامع بعض الحراس فاتوا حالاً لاغاثتهِ ولكن قبلما وصلوا الى المكان كانت اللصوص الاردياء قد باينتهُ واحرزت المال . ولما وصل الحراس وجدوا التعيس الحظ وحدهُ مطروحاً على الارض متمرغاً بدمهِ وبعد ذلك حُمل الى المستشفى حالاً . ولذا قلتُ ان ريالاتي كانت سوء حظ لهم

فقال لوقا انك لقد اخبرتنا عما جرى لاثنين من الذين نالوا العطية من لدنك . والآن اسمح لي ان اخبرك بما فعلهُ الثالث وماذا صنع بما اخذهُ منك وذلك امرٌ تستغربونهُ

فقال ميلر احد الحاضرين وهو يضحك سمعنا ان الواحد في المستشفى والاخر في السجن ولا يبعد ان يكون الثالث قد اشترى بما نالهُ مرسًا ومضى وشنق نفسهُ فضحك جميع الحاضرين من ذلك ولكن المامور اصغى

كل الاصغاء الى ما كان يقوله لوقا وقال ماذا يا ترى
فعل الثالث في دراهمه

فقال لوقا انه قدمها لمساعدة تجديد بناء الكنيسة
التي خربت بواسطة الطوفان الذي حدث من مدةٍ .
فتعجب جميع الحاضرين من هذا العمل مع انهم لم يتعجبوا
لما سمعوا عن الذي سكر والذي عذبه اللصوص ولكنهم
اعتبروا تقدمة الرجل المسكين الطوعية لله كامر عجيب
وغريب للغاية

فقال ميلر وعلامات الشك تلوح على وجهه اكثر
مما تبين من كلماته اكاد لا اقدر ان اصدِّق ذلك

فقال لوقا انني قد شاهدت ذلك عيانًا لاني كنت
حاضرًا بنفسي حينما عيسى داس وضع تقدمته في يد
راعيه كوبال

فقال الرئيس ميلر انه لا يمكني الاَّ اصرّح ان هذا
الفلاح قد جعل عندي اعتبارًا لليهود اكثر مما كان
عندي قبلاً

فقال لوقا موجهًا خطابهُ نحو مانتون فانظر يا سيدي ان ليس كلما تكرمت بهِ على اولئك سلبتهُ اللصوص او كان ثمن مسكر

فاطرق المامور هنيهة غائصًا في بحار الافكار. ففي وقت انقاذهِ من الغرق كان قد قدم الشكر لله لاجل نجاتهِ من الموت ولكنهُ لم يخطر ببالهِ قط تقدمة الشكر اعترافًا برحمة الله التي ظهرت لهُ حتى سمع خبر تقدمة المسكين. فان تقوى الرجل الفقير قد اضرمت نيران التقوى في صدر ذلك المامور الغني مثل مصباح يوقد من اخر

فقال المامور هل يهتمُّ اهالي الوطن اهتمامًا كهذا بان يبنوا كنيستهم

فقال لوقا. ان كثيرين منهم يريدون بناءها الاَّ ان عيسى هو الشخص الوحيد الذي سمعت انهُ مدَّ يد المساعدة لذلك بعطيتهِ

المامور. اذن لنتَّبع مثال هذا المسكين ولتكن مني

مساعدة ايضًا فاخبر كوبال قسيس تلك الكنيسة ان المال الذي يجمعهُ من رعيتهِ في هذا الاسبوع اقدّم ضعفيهِ من مالي مهما بلغت قيمتهُ

فقال لهُ ميار اظن ان كوبال لا يجمع كثيرًا ولذلك لا يصيب كيسك نقصٌ

فقال ان كانت القيمة التي تجمع كثيرة ام قليلة فساكون ثابتًا في وعدي والنقص الاكثر في كيسي لهذا القصد يزيد سروري

(٧) وقبل ان سطع ضوء الشمس على الروابي والآكام مضى لوقا ودخل في رجوعهِ بيت كوبال ليقص عليهِ ما جرى ويخبرهُ بمواعيد المامور . وقبل غياب شمس ذلك النهار كان لوقا قد زار بيت كل مسيحي في ذلك المكان واخبرهم بتقدمة عيسى المسكين وبمواعيد الحاكم فلم يرَ قبلاً بين المسيحيين غيرة كالتي رآها حينئذٍ ولا تهيج حاسيات كالذي صار . وكان يظهر لهم ضلال يعقوب وعاقبتهُ وتعاسة كونكارام وسلب مالهِ .

وقصة ثلثة الريالات من شفتي كوبال كان لها تاثير في اذان السامعين اكثر من عشرة واعظين . فكانوا يهتفون العظمة لله بالسعادة من تستقر عليهِ الغبطة العليا وبدون تلك الغبطة المال نفسهُ لا يجلب سوى الحزن والخجل لمقتنيهِ

وفي صباح اليوم التالي حمل كوبال كيسهُ ليجمع تقدمات الشعب ولم يكن حينئذٍ في الكيس سوى الريال الواحد الذي كان قدمهُ عيسى داس ولكن قبل رجوعهِ ملأَ الكيس من الدراهم التي كانت تعطى لهُ بفرح من تلقاء الارادة وذلك امرٌ ما جرى هناك قبلاً. فقال واحد انني استعد للنفقة على زفاف ابنتي ولكن ساكتفي باقل مما انا مستعد ان انفقهُ على الطرب والولائم وغيرهما حتى يمكني توفير شيء لعمل الرب . ولعل الرب يسوع يمنح نعمتهُ ابنتي هذه لان ذلك احسن من الرقص والوليمة

فقال احد المتوظفين انني قصدت ان اشتري

فرسًا جديدًا ولكن سارتضي بفرسي القديم هذه السنة واركبهُ بسرور واذهب يومًا بعد اخر لانظر بيت الله قائمًا بعد خرابهِ لكي اكون بهذه الواسطة قادرًا على وضع عدة لبنات في تلك الكنيسة

ومريم ام كوبال ما كان لها دراهم لتقدمها ولكنها بقلب مسرور نزعت سوار الفضة من يدها ووضعتهُ في كيس ابنها وقالت لهُ تلك المراة التقية الفاضلة خذ هذه الفضة وصيّرها لبنًا لبناء بيت الرب

وفي نهاية ذلك الاسبوع اجتمع المبشران لوقا وكوبال وحسبا الدراهم التي جمعت من الاغنياء والفقراء الى خزانة الرب فوجداها قد بلغت مبلغًا وافرًا من اصنافٍ مختلفة من النقود من ذهب وفضة ونحاس ولما انتهيا من ذلك رفع كوبال عينيهِ نحو السماء وقال ليُحمَد اسمك يا الله لانك استجبت صلاة عبيدك وفعلت اكثر مما نطلب او نفتكر . ان المبلغ الذي امامي الآن ينوف على نصف المطلوب لبناء الكنيسة

فقال لوقا وهو مملوء فرحًا ان الحاكم سيضاعف المبلغ لانهُ قد وعد وهو رجل من الذين يفون بمواعيدهم

فقد اصاب لوقا بقولهِ هكذا في شان الحاكم لانهُ كان يحب ان يحفظ المواعيد التي وعد بها ويسرُّ بمساعدة الذين يساعدون ذواتهم حتى انهُ ما كتب شيئًا قط بسرور اكثر من سرورهِ بكتابتهِ ذلك الصك الى الصرَّاف لاجل الباقي من المبلغ المطلوب لتكميل بناء الكنيسة

فاخذوا في البناء حالاً وكانت الكنيسة تقوم بسرعة نظير النبات الذي يُسقى بالماء . وكان يمتلئُ قلب كل واحد من مسيحيي تلك القرية سرورًا عند نظرهِ قيامها وكثيرون من الذين ليس لهم قدرة على المساعدة بالمال كانوا يعملون بايديهم . ولسبب ذلك استطاع الشعب ان يقولوا هذه هي كنيستنا الخاصة ونحن لا نحتاج بعد الى دراهم للمساعدة من بلاد اخرى فاننا بذواتنا وبهمة حاكمنا قد بنينا بيتًا للصلاة وسنسعف راعينا ايضًا

ان التندمة للرب من تلقاء النفس ليس عن حزن ولا اضطرار شيء حسن لان المعطي بسرور يحبهُ الرب ٢كو٩:٧

وكان قد تمَّ بناء تلك الكنيسة قبلما اتى فصل الشتاء واجتمع جمهور عظيم من كل الشعب لتدشين ذلك البيت المقدس بالصلاة وترانيم الحمد وكان حاضرًا بين اولئك الجموع كونكارام ويعقوب بعد ان ترك احدهما المستشفى وأُطلق الاخر من السجن. فكان كونكارام مصفرَّ الوجه وعلى جسمهِ اثر جرح عميق واما يعقوب المسكين فكان لا يرفع عينيهِ من الارض الاَّ ما ندر لان الخجل قد غطى وجههُ. وهذان الاثنان اشتركا في الصلاة الاَّ انهُ لم يُسمَع لهما صوت في ترنيمات الفرح. وبعد ما فضَّ ذلك الاجتماع اقتربا من عيسى داس الذي كان واقفًا بالقرب منهما مكتوف اليدين مكشوف الراس ووجههُ يلمع بالابتهاج عند رؤيتهِ البناء الجميل قائمًا حيث كان ذلك الخراب

فقال كونكارام آهِ يا اخي هذا هو بالحقيقة يوم سرور لك وهوذا الله قد سمع صلواتك ونجح عملك . ان هذا القول كان صادرًا من قلب كونكارام لان في مدة مرضهِ وآلامهِ قد انار روح الله القدوس نفسهُ ومن ثمَّ جزم ان يخصّص دائمًا عشر محصولاتهِ القليلة للاعمال المقدسة لاسعاف راعيهِ ومساعدة المساكين وبهذا طلب ان يكون لنفسهِ كنز في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب سارقون ويسرقون

فقال عيسى انا الآن مسرور كاني حاصل على ملك العالم لكوني انظر الى هذا البيت الذي ارجو ان يبشَّر بالانجيل فيهِ من جيل الى جيل

فقال كونكارام انت ذاتك قد بنيت هذه الكنيسة

فصاح عيسى قائلاً بتعجبٍ أانا الذي لست سوى رجل فقير بنيت هذه الكنيسة فما احسنت يا كونكارام لانك سخرت بصاحبك

فقال كونكارام لا تظن اني اسخر بذلك بل اني اقول

الجد لانهُ لولا صلواتك وتقدمتك ما قامت هذه الكنيسة هنا اليوم ولهذا انت الذي قد بنيتها

فقال عيسى انني لم اضع فيها غير لبنة واحدة

قال كونكارام لكن كما انهُ من البزرة تخرج الشجرة هكذا من تلك اللبنة الموضوعة في ايمانٍ وصلاةٍ قد قام ذلك البناء العظيم. فيا اخي انني قد تعلمت درسًا جيدًا وانا مجروح اقاسي بالاتعاب المؤلمة درسًا قيمتهُ عندي اكثر من الريالات العشرة التي سلبتها مني اللصوص. ان دراهمنا هي كالبزر الذي الرب مالك كل الارض يضعهُ عند خدَمهِ حتى يزرعوا ويحصدوا مئة ضعف

فكان يعقوب نظير الذي يطحن حبوب البذار ويأكلها وحقلهُ جدْبٌ لا خضرة فيهِ وحقول من حولهُ مخصبة خضراء وانا كنت كواحدٍ خبا الحبوب حتى مضى وقت الزرع وتلك التي تنتج الاثمار الجيدة صارت فاسدة واعتريها العفونة

ولكن انت يا عيسى كنت كالذي فعل ارادة سيدهِ

ففرح في وقت الحصاد كثيرًا. أو ما هو مكتوب في كلمة
الحق «من بزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا
ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة
ابدية غل ٦:٨

الفصل الثالث

العمامة المطرزة بالذهب

ان رجلاً اسمهُ حسن كان حاصلاً على اتعاب عظيمة واضطهادات لاعتناقهِ الديانة النصرانية حتى ان جميع اصحابهِ القدماء كانوا يحولون وجوههم عند رؤيتهم اياهُ وكل الذين كانوا ياكلون خبزهُ صاروا يتنحون الى الجانب الآخر من الطريق حينما ينظرونهُ . فكانت تلقى عليهِ التوبيخات العنيفة والكلمات القاسية التي طالما خرقت نفسهُ مثل سيف ذي حدين ومع ذلك بقي متمسكاً بشدة وراسخاً في الايمان الذي اعتنقهُ

وقد غلب التوبيخ الدائم بالصلاة وساعدتهُ ارشادات ونصائح الحاكم النون الصديق الانكليزي الذي ارشدهُ

في اول الامر . ولم يمضِ قليل حتى عبرت عاصفة الاضطهاد والناس الذين كانوا يؤنبونهُ كفوا عن تعييرهِ وليس ذلك فقط بل عادوا يحترمونهُ كالاوَّل وكان معلمًا في الديانة المسيحية ولهُ ابنة اسمها فاتيما قد خطبها الى شاب اسمهُ يوحنا وكان قد فضَّل ذلك الشاب على كل من سواهُ من الذين طلبوا الابنة حتى ان تلك الخطبة كانت كتاجٍ حسن لنجاحهِ وتوفيقهِ لان الفتى كان مسيحيًّا وذا وظيفة معتبرة

وفي احد الايام اذ كانت جميع المهمات معدَّة للزفاف نادى امرأتهُ وقال لها يا مريم سوف يكون عندنا عرس عظيم جدًّا ومشهد جميل ووليمة سارَّة وفاخرة

فقالت مريم بتبسم ان ابنتي يلزم لها ثياب ثمينة مناسبة لعروس يوحنا فانها تحتاج الى شالٍ محبك في امر يستار ومطرزات من دلحي وجوارب منقوشة باللون الكحلي والفضي كما تلبس الخواتين او الاميرات

فقال يوسف الذي هو الاب الاصغر لحسن

والمحبوب عندهُ جدًّا وانا ماذا يكون لي يا ابي فاجابهُ ابوهُ قائلاً سيكون لك في عرس اختك عمامة جديدة باهداب مطرزة بالذهب قال هذا وانحنى يقبل جبين ولدهِ بالمحبة

فقالت امراتهُ انهُ لابد لنا من اقتراض دراهم للقيام بواجبات الاحتفالات والمهمات العرسية . لانها عرفت ان النفقات التي يقتضيانها تبلغ مبلغًا اعظم مما يحصلهُ زوجها من اجرة التعليم في سنة

فقال حسن بهدو بعد التامل والافتكار نعم يلزم ان اقترض فالى من اذهب لاجل ذلك. فاشارت عليهِ ان يذهب الى عبد الغني

المعلم. انني لااذهب الى المذكور لانهُ طماع في الربح اكثر من كل انسان فلو امكنهُ لعصر بزر الزيتون لاستخراج الزيت . قالت فاذهب اذن الى صادق . فقال ولا الى صادق لاني مديون لهُ بخمس مئة ريال

فتذكرت انهُ يوجد حاكم انكليزي صديق مخلص

لزوجها وتحققت ان هذا حينما يسمع ان الدراهم لاجل وليمة عرس لا يتاخر عن ان يقرضها

فقال حسن لقد اصبتِ لان المومأ اليهِ لهُ استطاعة ان يفعل هكذا فان وظيفتهُ كل شهر خمس مئة ريال ولا ريب في انهُ لا يصرف اكثر من ثلاث مئة فانهُ ساكن في احقر اماكن البلدة واصغرها وليس عندهُ من الخدم الاَّ ما يضطر اليهِ لقضاء اشغالهِ ولهذا لا بد ان يكون خازنًا من مدخولهِ وبما انهُ ودود صادق لي فثقتي اكيدة بمساعدتهِ في احتياجي هذا . واليوم هو يوم فرصة في المدرسة التي اعلم فيها ولذلك يكون لي وقت فساسرع اليهِ

فقال يوسف الصغير بحرارة يا ابي لا تنسَ ان تشتري لي من السوق عمامة جديدة ظريفة مطرزة بالذهب بحسب وعدك وانت راجع فتبسم ابوهُ وقال وهو قائم للذهاب انني لا انسى ياعزيزي

وبينما كان ذاهبًا في طريقهِ قاصدًا بيت الحاكم

المشار اليهِ اخذت تتردد في بالهِ الافكار السارّة في انهُ كيف انقذهُ الرب من وسط كل الاضطرابات وبعد عبور عاصفة البلايا انارهُ بضياء الفرح . وقال في نفسهِ ان اولئك الذين احتقروني سيحسدونني الآن وابنتي تكون زوجة رجل صالح وموقر . والوليمة الفاخرة العظيمة التي اعدها ستري الجميع ان ذلك هو وسيلة فرح وسرور عظيمين

ولما اشرف على بيت صديقهِ المذكور اخذت افكارهُ تُشغَل بموضوع اخر . وقال في قلبهِ ان اختيار غني كهذا السكنى في بيت كالمذود من الامور الغريبة فان ذلك الموضع غير مناسب الاَّ للبوم والجرذان وسوف يسقط في الشتاء القادم ويبان لي انهُ الآن في بيتهِ لاني رايت السائس قائدًا الفرس من الباب . على ان ذلك ليس فرسًا بل برذونًا فعجبتُ من متوظف كهذا يركب مثل ذلك البرذون الحقير الذي اذا علا عليهِ الرجل الطويل الرجلين كادت قدماهُ تمسان الارض ومع انهُ رجل

مسيحي صالح وصديق مخلص وافضل من على الارض لم يخلُ من عيب واحد فقط الذي لا اريدهُ فيهِ وهو انهُ بخيلٌ لا يخرج الزئبق من كفهِ ولهُ غرام خفي في محبة المال. وما عرفت قط انهُ دعا احد اصدقائهِ الى طعامهِ وظهر لي انهُ يعيش بالشح وتبقى ثيابهُ على جسدهِ الى الابد. فاتعجب كيف انهُ لا يقصد ان يشتري ثوبًا جديدًا واتمنى لو كان سخيًّا كريمًا لا يحاسب على اشياء جزئية وقد قال الكتاب لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض فعجبًا لانسانٍ يحب الله نظيرهُ ويجعل كنزهُ على الارض

وحينما مثّل بحضرة ذلك المامور وراى على وجههِ علامات الرضى واللطف وسمع التهنئات القلبية بالعرس الذي عن قريب يكون في عائلتهِ نسي كلما كان يحسبهُ عيبًا فيهِ. وأُمر بان يجلس على كرسي على انهُ لم يكن سوى كرسيين فى ذلك البيت الذي لم تكن مفروشاتهُ الاَّ من اقبح المفروشات

فكان الحاكم يصغى بتبسم الى ما كان يقصهُ عليهِ

حسن من خبر صهرهِ انهُ كيف هو معتبر من الجميع وكم لهُ من الاملاك في بلدتهِ . وبعد الكلام الطويل في مواضيع مختلفة اظهر حسن مقصودهُ في هذه الزيارة وطلب منهُ قرضة مئتي ريال فلما سمع ذلك تحولت كل امارات السرور التي كانت تلوح على وجههِ الى كدرٍ . فقال بهدو ياصاح ليس في طاقة يدي هذا المبلغ وان كان فلا احب ان اقرضهُ

فكاد حسن لا يقدر ان يضبط نفسهُ عن صراخ التعجب واجال نظرهُ في ذلك البيت ودخل في قلبهِ ريب من هذا الجواب

اما ذاك فلقوة ذكائهِ بتمييز افكار الناس شعر ببعض تصورات في قلب حسن ومن مجرد الملاحظة عرف انهُ في ريبٍ من صدق قولهِ . فعند ذلك علا وجههُ الاحمرار وتوقف قليلاً وكانهُ بانفعالات الكدر والتاثير المؤلم قصد ان يقول ياحسن انني قلما تحدثت مع احد في دخيلة امري ولكنني متيقن انهُ يكون اوفق لي

والك ان تتكلم قليلاً في هذا الشان

فهل تظنني جامد الكف ورغبتي زائدة في محبة المال حتى انهُ خامرك الشك في عدم خلوصي وحسبتني مع ذلك مسيحيًا مرائيًا حال كوني لم اتكلم الاَّ بالصدق والحق حينما قلت لك انهُ ليس معي دراهم . فالامر هو هذا انني مديون لصديق لي (واذ قال هذا جرى الدم باردًا في عروقهِ وتصاعد على جبينهِ ووجنتيهِ) ولما رأى حسن ان هيئة المامور الفطن ذي الحزم تغيرت من الحالة الطبيعية الى اللون الفاني عندما اعترف بانهُ تحت دين دُهِش من هذا الامر واعترتهُ الحيرة حيث لا شيء يشينهُ هو عندما يتصور ذاتهُ ملطخًا باوحال الدين فكان كما هو دأب الكثيرين من ابناء وطنهِ يظن ان الامر زهيد جدًّا وليس هو مصيبة في ذاتهِ ولا يتسبب عنهُ ادنى عار او عيب . فالامر واضح ان الدين لم يكن محسوبًا هكذا عند المسيحي الانكليزي بل كان كحمل ثقيل لا يستطيع احتمالهُ

وكان التون يحزن كثيراً من ان ينظر الدين الذي كان كحمل ثقيل على عاتقه سهلاً وخفيفاً على الكثيرين من الهنود . ورأى انه حصل على فرصة موافقة لانذار حسن وارشاده في الروحيات لكونه محسوباً عنده كاخ في المسيح . فافتكر في نفسه وقال هل أبصر اخي يخطئ ولا اريه غلطه وانبهه على زلته . ان الدين في هذه الارض كدودة تاكل النبات او كبثرة تحت الجلد في جسد الانسان . واقدر ان أري حسن شدة كرهي ذلك بجعلي اياه يعرف اية اجتهادات فعلتها بذاتي وافعلها الآن لانجو من وبأ الدين

ثم التفت الى حسن وقال ان الواجبات المسيحية تحملني على ان اعلن لك شيئاً من الاحوال التي جعلتني أحاط بالدين عدة سنين واجتهد بكل قوتي في ان اتحرر من تلك العبودية (قال هذا بعد ان كان قد توقف قليلاً ايضاً)

ثم قال حينما كنت في كلكتا في اثناء وصولي الي هذه

البلاد صرفت في لوكندةٍ كلما كان معي من المال وهذا هو علة تضجري الاَّ انهُ لم يصعب عليَّ ذلك كثيرًا لانهُ كان لي صديق غني في محل في بنكالا اعهدهُ انهُ يجيب طلبي حالاً بتقديمهِ لي كل ما احتاج اليهِ لايصالي الى ولاية بونجوب التي كنت منصَّبًا عليها وكنت واثقًا ان الدين الذي استلمهُ بوفيهِ حالاً ابي في انكلترا

فقال حسن ان فكر سعادتكم لا بد من انهُ كان في راحةٍ بسبب ذلك

المامور . وبينما كنت ماسكًا القلم في يدي لاكتب الى صديقي القاضي ان يقرضني ثلاث مئة ريال على ان ذلك كان اقل ما تقتضيهِ احتياجاتي الضرورية واذا خادم قد دخل اليَّ وفي يدهِ مكاتيب من انكلترا فحينئذٍ تركت القلم وفتحت المكتوب الاول وما كنت انتظر ان اقرا فيهِ اخبارًا مكدرة . فوجدت فيهِ انهُ بسبب تاخير مصرفٍ (بنكٍ) خسر ابي كل ما كان قد جمعهُ من سنين عديدة وذلك الاب الذي قد قام في الصباح

حاسبًا ذاتهُ من الاغنياء ومعتقدًا انهُ من اصحاب الترفه اضطجع في المساء في حالة الفتر واصيب سريعًا بمرض عضال

فقال حسن . ان هذه الاخبار لا يطيقها السمع

فقال المامور . ان ابي مذ دُعي الى الوطن السعيد حيث لا تعب بعد (ولما قال هذا تنهد) قد وضع كنزهُ في السماء في ذلك المصرف (البنك) الذي لا يشوبهُ الانكسار ابدًا . الاَّ انهُ في ذلك الوقت كان ابي في ضيقة واحتياج شديد وانا قد كتبت الى القاضي بسرعة وعوضًا عن ان اطلب منهُ ثلاث مئة الريال التي كنت قاصدًا ان اقترضها ومتاكدًا ان ذلك المبلغ يوفى في مدة شهرين قد طلبت منهُ ان يديّني خمسة الاف ريال لارسلها حالاً الى وطني لمساعدة ابي المصاب بالكسر والمرض ولكنني لا اعلم متى توفي

فقال حسن وهل اعطاك ذاك القاضي الدراهم المطلوبة

فقال . قد ارسل اليَّ ذلك في الحال والسرعة بكرم لا يوصف والمقرر عندي انهُ لا يريد ان يطالبني بشيء من ذلك المبلغ الوافر

فقال حسن . اذن كل شيء هين فلماذا تقلق من انك مديون وصاحب الدين رجل غني لا يحتاج الى المال وهذه القضية لا تضايقهُ ولا تؤثر فيهِ

فاجاب الفتى على الفور قائلاً ولكنها تتعبني انا فانني لا استطيع ان اجلس باطمئنان وهدو وراحة تحت ذلك الحمل اكثر مما اطيق وضع سلسلة حديدية حول عنقي . فصرفت كل حياتي باجتهاد دائم لألقي عن عاتقي تلك السلسلة وقد قطعتها حلقة بعد اخرى وعشت من ذلك الوقت على نصف مدخولي بخلاف ما يقدر ان يفعلهُ رجل غيري من اقراني في الوظيفة . ولما زيدت اجرتي ما زدت مصاريفي وقد أُجبرت على احتمال افكار البخل وعدم الترحاب بالضيف في ارضٍ اذا كنت لا افتح بها كفي واعلّي بابي اعرض نفسي لتعيير

اهلها ولومهم وتوبيخهم الشديد . وما قدرت ان اعطي صدقاتٍ ولا اكثّر الضيافات بمالي الذي لم يكن لي بالحق بل لغيري فانهُ حسنٌ لي ان اكون دنيًّا ومحتقرًا في عيني الانسان من ان اكون غير مستقيم في عيني الله

فصرخ حسن وقال عجبًا ابذلك تكون غير مستقيم فان هذه الكلمة حسب فكرهِ ما كان لها ادنى داعٍ ولا مناسبة لان تقال في شان الدَين

فقال الفتى . نعم اكون مرذولاً ومخذولاً ومكروهًا ايضًا لان الدراهم التي نقترضها ليست لنا بل للغير

فقال حسن . وانما غاية مرغوبهِ وسرورهِ ان يقرضها لان بذلك يكون لهُ عظيم فائدة

فقال المامور . ولكن ليس سرورهُ ومرغوبهُ انها لا ترجع اليهِ ابدًا . وما زال حسن غير مقتنع بان الدين يجلب ادنى ضرر على رجل يمكنهُ ان يستغني عنهُ

فقام الفتى ومشى نحو المائدة وكان موضوعًا عليها الكتاب المقدس فاخذهُ بيدهِ وفتحهُ وحينئذٍ قرأ هذه

الآية «لا تكونوا مديونين لاحد بشيء الا بان يحب بعضكم بعضاً رو ١٣:٨»

فقال المعلم حسن انني لم اعرف قط وصية كهذه في الكتاب المقدس . على اني اظن انك اضطررت الى ان تتعداها

فقال المامور بعبوسة وكآبة قلب ان ضميري لا يوبخني على اضطراري الى الدين بل يؤنبني دائماً ولا يعطيني راحة اذا كنت لا ابذل كل جهدي في ان اوفي ما عليّ وارجو ان ارسل الى صديقي القاضي باقي المطلوب حينما اقبض اجرة هذا الشهر في بداية الاسبوع القادم . وذلك اليوم الذي فيه اجد ذاتي متحرراً من قيود الدين سيكون من احسن ايام حياتي

فقال حسن بسرور آه ما احسن ذلك اليوم الذي فيه يمكنك بعد كل شيء ان تقرض عبدك مطلوبه فان عرس ابنتي لا يكون الاّ بعد مضي شهر

فالفتى عند ما سمع ذلك اغتاظ جداً لانه راى ان

كل ما قالهُ ذهب سدى ولم يجعل ادنى تاثير في هذا المعلم المسيحي . ثم اغلق الكتاب ورجع الى مكانهِ . وقال يامعلم انني قد اقترضت الدراهم من اضطراري وشدة عوزي اليها واما انت فستقترض بدون احتياج

فقال حسن وهو متعجب جدًّا اما اخبرت سعادتك انني طالب دراهم للقيام بواجبات افراح زفاف ابنتي

قال المامور واي لزوم لذلك فان تلك الافراح ربما ادّت بك الى نفقةٍ باهظة ودين كثير . فاذا كنت ترضى بان تلقي المجد والافتخار والفخفخة على جانب وتضع ماكولات بسيطة امام عدد معتدل من المدعوين وتجتنب كل اتلاف ورؤية وفخر فان مداخيلك تكفي نفقة العرس . وهل تزداد ابنتك سعادةً في المستقبل اذا كانت وليمة زفافها تجعلك تسلك في طريق لا تليق بالمسيحيين . او هل تحلُّ بركة الله على الاقتران الذي يتم بمخالفة وصاياهُ تعالى . واية منفعة تنتج عن وليمة عرس

تجاوزت الحد من النفقات والخسائر

فاجاب حسن وماذا نعمل هذه العادة. (كأنَّ هذه الكلمة كانت الجواب الكافي لكل الاعتراضات)

فقال الفتى يا صديقي انت الذي عرفت فساد العبادة الوثنية فلا تجعل العادة وثنًا لك. انهُ كانت العادة في بلاد الانكليز في معاملة الارديا الذين يهينون الحكام ان يؤتى بهم الى مكان معين ويبرز منهم اثنان ويبد كل واحد طبنجة ثم يطلقان النار احدهما على الآخر. فهكذا كان يجرى ولومهما كان التعدي زهيدًا

فقال المعلم المذكور ان عادةً كهذه رديئة جدًا

فقال المامور. ولكنها كانت عادة عمومية حتى ان خرقها كان يُعدُّ من اعظم العيوب ولكن قام اناس اصحاب شجاعة امناء ونسخوا تلك العادة لاجل المسيح وانجيلهِ. فالعادة الآن بين طوائف عديدة من الناس وبالاخص بين البراهمة ان يلبسوا خيوطًا مقدسة واما انت فقد نقضت دستورك القديم وتركت البراهمة ورفضت

خيطانهم المقدسة واهتديت الى الديانة المسيحية فهل
تريد اذن ياصديقي ان تمارس عادةً مضادة لارادة الله.
او هل نقول لملكك السماوي يارب انني تركت لاجلك
محبة الاخوة والاصدقاء وجملة اشياء كنت احسبها اثمن
ما يكون على الارض. ولكن لا اقدر بل لا اريد ان
اعطيك دستوري واترك عادتي الضعيفة بعمل وليمة
عرس عظيمة ولو كان حفظ تلك العادة يُلقي راحتي
الابدية في خطر. ففي معموديتي اعتزلت عن العالم
والجسد والشيطان وانما اختلست شيئًا واحدًا من هذه
الدنيا الذي لا اريد ان اعتزل عنهُ

فظهرت علامات الكآبة على وجه المعلم المذكور لان
صديقهُ كشف لهُ عن خطية كانت مجهولة عندهُ
كالاعوجاج الذي ما كان يظنهُ اعوجاجًا ابدًا والخجل
الذي ما كان يحسبهُ خجلاً قط. وعند ذلك أنَّ بروحهِ
وقال انا لا ابالي بذاتي ولكن اذا كنت آمرُ اهل بيتي ان
يسلكوا بموجب هذا القانون فماذا يقول الآخرون عليهم

ولا ريب انها تكون صعوبة عليهم من جميع الذين حولهم

واخذت تخطر التصورات امام عقلهِ في شان امراتهِ وابنتهِ وولدهِ المحبوب وفي انهُ كيف يستطيع ان يحتمل ان يحزنهم ويجعلهم عرضةً لتعيير جيرانهم

فقال لهُ المامور اذهب الى اهل بيتك الذين هم ايضًا مسيحيون وانا اثق بانهم ليسوا مسيحيين بالاسم فقط واتلُ لهم ما قلتهُ لك اليوم وقل لهم اليس تعظُم المعيشة الذي يقود الى دين الزلات والاثام محرمًا بقولهِ تعالى «ان كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُم المعيشة ليس من الآب بل من العالم والعالم يمضي وشهوتهُ واما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت الى الابد ١يو٢: ١٦و١٧» وقل لهم الا يكون في العالم الاتي — بل بعد مضي سنة واحدة من هذا الوقت ذكر تلك العادة الردية احسن للضمير من ذكر المسرات والافراح العظيمة في العرس . ان مديح البشر كورقة قنديل في زينةٍ لا تدوم سوى ليلة واحدة . واما مديح الله كنجوم في الجلد تضيُ من قبل

ولادتنا وستبقى منيرة بعد وفاتنا وقتًا طويلاً

ثم قام حسن وقدّم تحيات الوداد وسافر راجعًا في طريقهِ مقتنع العقل متيقظ الضمير وكان عازمًا تقريبًا على ان يعمل وليمة بسيطة باقل نفقة. وانما كان كلما تخطر ببالهِ معارضة عائلتهِ يضعف عزمهُ. فقال في نفسهِ بحزن لا احب ان ارجع في وسط السوق واعرّض ذاتي لتجربة شراء العمامة لعزيزي الاصغر وحالما وقع ظلهُ على عتبة باب بيتهِ ركض بلهفة لاستقبالهِ ابنهُ الصغير يوسف وتطلع لينظر هل جلب لهُ ابوهُ شيئًا ولما راى ان لا شيء في يد ابيهِ انقلبت هيئة وجههِ وخاب املهُ فصرخ يا ابي هل نسيت العمامة. فاجابهُ ابوهُ قائلاً انني ما نسيتها يا ولدي قال هذا ودخل الى غرفتهِ والقى ذاتهُ على طنفستهِ

فسالتهُ امرأتهُ وهي تتبسم وتعدّ لهُ النارجيلة هل اوصى سيدي بما نحتاج اليهِ في يوم العرس

وكانت ابنتهُ فاتيما تفتكر في الاسورة والحلق الاّ انهُ قد استولى عليها الحياء حتى لم تستطع التكلم البتة

فقال الرجل انني قد اخرت عمل الاستعدادات فالمراة من مجرد ملاحظتها رات ان عقل زوجها كان معربسًا بافكار كثيرة ولذا تجاسرت ان تسالهُ أما اعطاك المامور شيئًا

فقال لها انهُ قد اعطاني مقدارًا عظيمًا من النصائح الحسنة الأَان تلك الارشادات سيكون صعبًا علينا جدًّا العمل بموجبها

فاجلسا يا مريم وفاتيما واسمعا ما قالهُ لي في شان الولائم والمهمات العرسية العظيمة التي من الضرورة يعقبها دبون في هذه البلاد

فجلستا على الارض باصغاء وتعجب بل في خوفٍ مما يحدث ويوسف جلس ايضًا قرب ابيهِ ومسك يدهُ

وحينئذٍ ابتدا حسن يقص عليهما ما جرى بينهُ وبين المامور من الاحاديث حرفًا بحرف. فكانت مريم تقطعهُ عن الحديث مرة بعد اخرى بصياح التعجب وعدم الرضى . واما فاتيما فاصغت بسكوت بدون ان ترفع

نظرها من الارض . وعينا يوسف الكبيرتان ما تحولتا عن وجه ابيه وكان يصغى بلذة الى كل ما يقال وان يكن ما قدر على فهم كل كلمة ولكنه ادرك خلاصة المعنى ما قيل

ولما انتهى الرجل من ذلك حدث سكوت قليل في الغرفة . فامتلأت مريم غيظًا . وعينا فاتيما المطرقة في الارض كانت تذرف دموعًا وتانك المرانان وان كانتا مسيحيتين فكان عليهما ابطال هذه العادة من عرس كهذا تجربة عظيمة . ولذا قال الرجل لها انا اترك الحكم لكما في هذه المسئلة (على رجاء انه يتخلص من حكمه الذاتي في هذه المسئلة الصعبة) فهل يليق ان اقترض من اخر لاعمل كل شيء منظما حسب العادة . او تنسخ كل ما لا يزوم له ونتجنب اغاظة الله المسببة بواسطة جلب الدين على انفسنا . (وبعد هذا صار سكوت وجيز ايضًا) وكان الشخص الاول لابطال تلك العادة يوسف الصغير الذي تعلق بابيه وجلس حيث يجعل شفتيه قريبتين من

اذن ابيهِ وحينئذٍ قال بصوت منخفض الاَّ انهُ كان واضحًا لان يسمعهُ جميع الحاضرين . انني احب ان ارضي الرب يسوع بعدولي عن شراء العمامة المطرزة بالذهب

فالمقالة النفيسة المرتبة لم تجعل تاثيرًا اكثر من تلك الكلمات البسيطة من ذاك الولد . فان الغيظ الذي كان ظاهرًا على وجه الامّ تحول الى تبسمٍ . وفاتيما التي كانت دموعها تنهل على وجنتيها بغزارة قالت بفرح انني افضّل رضى الرب يسوع على جميع كنوز العالم

وبعد ذلك باسابيع قليلة جرى العرس باحتفالاتهِ البسيطة وكان التعجب عظيمًا جدًّا عند الجيران نظرًا لبساطة الترتيب والتأهبات . فان الوليمة كانت مقتصرة غالبًا على الاثمار والزينة على الزهور . وانما الاثمار كانت حلوة ولذيذة والزهور اجمل وابهج من كل ما نقدر ان تصنعهُ يد الانسان . وفاتيما كانت عروسًا سعيدة جدًّا لانها افتكرت في نفسها انهُ كما ان الرب تنازل ليأتي الى عرس قانا الجليل يتنازل ان يحضر هذه الوليمة البسيطة

التي لا شيء بها فوق مقدرة ابيها العزيز . وما نُظر وجه
في ذلك العرس ابهى وابهج من وجه يوسف الصغير
فان العمامة الطبيعية البيضاء كالثلج كانت تلمع على
ذلك الوجه السعيد الذي لا يحتاج الى
عمامة مطرزة ذهبية
بعد

الفصل الرابع

مثل ثلاث الجواهر الياقوتة واللؤلؤة والماسة

كان ملك قوي يسمى الرحيم ساكنًا في بلاد بعيدة في عبر المياه المظلمة وذاك الملك كان له اربعة اولاد ساكنين في مكان بعيد عنهُ اسم الاول المتعبد والثاني الدنياوي والثالث المذعن والرابع المشكك

وفي احد الايام دعا الملك واحدًا من خدمهِ وكان اسمهُ عبد الله واوصاهُ قائلاً اذهب الى الارض حيث يسكن اولادي الاربعة وقل لهم هكذا يقول الاب الذي لا تنظرونهُ ذاك الذي يعتني بكم ويحبكم ويرغب ان يعطيكم الكنوز المندفقة بغزارة من غناهُ الوافر فاتركوا المدينة التي انتم ساكنون فيها واعبروا النهر الجاري

امامكم واسلكوا في الطريق التي يرشدكم اليها عبدي
وحينئذٍ تصلون الى جبل معلوم وهناك ستنظرون في
جانب الطريق علامةً في هيئة صليب فاحفروا عند
اسفلها وهوذا ستجدون كنزًا لا يقدران ينعم بهِ احد سواي
ذاك هبتي الملوكية فهو ثلث جواهر في صيغة ذهب نقي
ياقوتة اسمها العفو ولؤلؤة تسمى الطهارة وماسة اسمها السماء.
فالذي يعلق الياقوتة على صدرهِ ينجو من الخطر والذي
يعلق اللؤلؤة يسلم من الامراض والذي يعلق الماسة
يكون وارثًا العرش المجيد . وجميع كنوز الارض لا توازي
هذه الجواهر التي هي الغفران والنقاوة والسماء

فالخادم عبد الله انحنى جاثيًا امام مولاهُ العظيم
وقال بالسمع والطاعة تجرى ارادة سيدي

فهذا الخادم كان لهُ وطن سعيد ووالدان محبوبان
ومع كل هذا ترك الجميع ومضى امتثالاً لامر مولاهُ .
وكان البحر واسعًا والامواج هائلة لكنهُ لم يخف العبور
لان الاخبار الجيدة التي كان ملتزمًا ان يوصلها الى اولاد

سيدهِ وفرح حملهِ تلك الاخبار الجأهُ الى مقاساة اتعاب ومشقات اسفار خطيرة

وبعد عناء كثير وصل رسول الاب الى الارض حيث يسكن اولاد مولاهُ وبعد ايام قليلة وصل الى ذات المدينة المقيمين فيها وكان قد اخذ بهِ التعب كل ماخذ ولكنهُ ما بالى بذلك وما استراح حتى بلغ محل المتعبد الذي هو الابن الاكبر بين اخوتهِ الذين كانوا ساكنين في انحاء مختلفة في ذات المدينة

ولما مثَّل الرسول بحضرتهِ رآهُ انسانًا حاملاً في جبهتهِ علامة تدل على تخصيصهِ بعبادة الالاهة كالي (وهي الالهة في هندستان) . وكان ذلك اليوم يوم عيد عظيم والمتعبد كان مزمعًا ان يخرج ليستحم في نهر كونكا ويسجد لوثنهِ

فقال عبد الله يا ايها المتعبد انني اتيتك باخبارٍ سارَّة من ابيك العظيم الكثير الرحمة . وهي ان لك كنزًا محفوظًا عند اسفل صليبٍ فانا ارشدك اليهِ ولكن يجب

ان تذهب حالاً والاَّ ياخذهُ اخر من امامك وحينئذٍ تفقد الى الابد فرصة الحصول على ذلك الكنز الذي هو العفو والطهارة والسماء

فلما سمع ذلك استهزأ بالرسول الامين لاختلاف هيئتهِ عن هيئات سكان المدينة. وقال لهُ من انت يا ايها الرجل الغريب الشكل والزيّ وما هي غايتك وماذا تريد مني . فاجاب الرجل وقال انا عبد الرحيم وصديقك فاتيتك ليس لكي آخذ منك بل لاعطيك . وحقًّا انني قد خاطرت بحياتي لاجلب لك من بعيد البشارة المفرحة

فقال المتعبد انني لا اكترث ببشارتك ولا اصدق كلامك. ولماذا تلهيني وتعيقني عن تادية فروض العبادة التي عليَّ للالاهة العظيمة

فصرخ عبد الله بحرارة يامولاي ان لا صورة صنعة ايدي الناس تقدر ان تمنح عابدها العفو والطهارة والسماء ولماذا لا يصغى سيدي . هل يرفض اثمن الجواهر التي

اذا علقتها على قلبهِ تنقذهُ من الخطر وتحفظهُ في الصحة وتورثهُ عرشًا سماويًا. فاقرا فقط هذا المكتوب المرسل من ابيك وحينئذٍ يتبرهن لك صدق قولي . وعند ذلك اخرج عبد الله من جيبهِ كتابًا عنوانهُ الكتاب المقدس

فصرخ المتعبد ابعد عني بكتابك لاني لا احب جواهرك ولا اصغى الى كلامك

وفي تلك الدقيقة سمع اصوات طبول وعزف وهتاف واذا جمهورٌ عظيم مزمع ان يخرج من المدينة ليسجد للوثن ومع ذلك الجمهور خارج المتعبد الذي احتقر رسول الاب والذي قد خسر الكنوز المقدمة لهُ مجانًا من قبل الاب

فصاح عبد الله متنهدًا وقال واسفاه كيف ان الاذن تُسَد عن استماع صوت الوداد والعين تتحوَّل عن عطية المحبة الابوية . لكن رسالتي ولو رُفضت من الاخ الاول يمكن ان تحوز القبول من الثاني . قال هذا وخرج من عندهِ حزينًا وشرع يفتش عن بيت الابن

الثاني الذي يسمى الدنياوي وبعد البحث وجدهُ وكان هذا الابن عاقلاً وحساساً اكثر من اخيهِ الاول فانهُ ما افتكر في ان يحتقر الرسول ولا رسالتهُ كما فعل اخوهُ. ولكنهُ قال في قلبهِ بالحقيقة انهُ امرٌ ليس بدون اهمية ما جعلِ هذا الرجل الصالح ان يترك بلادهُ ويسافر مسافة عظيمة ويسير في وسط اخطار كثيرة ليجلب لي اخباراً حسنة. ولعل في ذلك المكان الذي اشار اليهِ كنزاً. اليس هو من الحكمة ان اقرا على الاقل الكتاب الذي يقول ان ابي قد كتبهُ وارى هل توجد تلك الجواهر التي هي العفو والطهارة والسماء عند اسفل الصليب

فراى عبد الله بفرح ان الدنياوي ما كان كاصمٌ لا يسمع صوت المنبه ولا كان نظير الاعمى الذي يجلس تحت شجرة النخل جائعاً ولا يعرف ان عناقيد اثمارها قريبة منهُ وانهُ يقدر ان يتناولها

فقال لهُ يا مولاي اسرع لانك قد ابطأت من

يعلم انك لا تخسر الى الابد الياقوتة واللؤلؤة والماسة الموهوبات مجانًا من ابيك

فاجاب الدنياوي وقال انني لا استطيع الذهاب حالاً ولا لي وقت الان لقراءة كتاب ابي لان رزم البضاعة قد وصلت الآن من بلاد العجم ويلزم ان ارى ما فيها. ولي ايضًا في هذه المدينة عدة اصدقاء قد دعوتهم جميعًا الى مأدبة اعددتها لهم . واشغالي آخذة وقتي وما يفضل عن الشغل اصرفهُ بالتسلية . فاذهب اذن يارسول ومتى حصلت على فرصة استدعيك لتهد بني الى حيث اجدُ الياقوتة واللؤلؤة والماسة في صيغتها الذهبية

فيا للعجب كيف ان هذا الرجل منهمك في اشغالهِ ومشغوف بهذه الدنيا ويا للاسف انهُ الى الابد لا يحصل على الكنز الذي قد خسرهُ بسبب تهاونهِ

وفي ذات اليوم الذي فيهِ ذاك الدنياوي بمجرد بيعة واحدة صيَّرتهُ اغنى تاجرٍ في المدينة وفي نفس تلك الليلة التي كان قد صنع فيها الوليمة في بيتهِ أُصيب بالهواء

الاصفر ومات شرّ ميتةٍ فان جسدهُ حُرِق ورمادهُ طرح في نهر الكونك وما وجد ابدًا كنوز العفو والطهارة والسماء وقد مضى الوقت المقبول وفات زمان التوبة ولن يعودا بعدُ

ثم توجه عبد الله نحو بيت المذعن الذي هو الابن الثالث وكان لطيفًا بشوشًا ولما عرف محبة ابيهِ استنار وجههُ وعند ما راى الكتاب المرسل ضمهُ اولاً الى قلبهِ ثم الى جبينهِ ولم يقتصر على ذلك بل قرأ جزءًا منهُ ليتاكد انّ عبد الله كان رسولاً صادقًا وقد اقتنع بوجود كنوز العفو والطهارة والسماء عند اسفل الصليب . فتلقى بالترحاب الرسول الذي كان حاملاً اخبار الفرح واستخبر منهُ عن الطريق المؤدية الى المكان الذي فيهِ الجواهر برغبة لاتوصف . وقال للرسول هل تريد ان ترافقني الى ذلك الموضع . فلما سمع الرسول هذه الاقوال هزّ راسهُ وقال اني اريك الطريق وانت وحدك ينبغي ان تسلكها . فلا يضطرب قلبك اذا وجدتها صعبة

المسلك وذات اشواك فمن يروم ربح الكنوز تلزمهُ الشجاعة والمواظبة. فهل يحصل احدٌ على ملكٍ بالتكاسل والنوم على الاسرَّة . او ما سمعت قول الشاعر

تريد بن ادراك المعالي رخيصةً
ولا بدَّ دون الشهد من ابر النحلِ

فاذهب بجراءة ولا تهب ولا تنسَ ان تتسلح بعصا الصلاة التي بدون مساعدتها لا تستطيع مقاومة صعوبات الطريق

فلاحت على وجه المذعن علامات الحزن والكدر عند ما تصوَّر تلك الصعوبات لانهُ ما كان من اصحاب العزم والاقدام في الامور فكان الامر يحتاج الى مواظبة عبد الله ان يقنعهُ حتى يشدّد عزمهُ على القيام للسفر وان لم يكن مرتابًا في نوال الجائزة التي هو ذاهبٌ لاجلها

واخيرًا سافر بعد تحريضاتٍ وتشجيعاتٍ عديدة وكانت التخيلات تصوّر لهُ ان عيون الوحوش البريَّة البرَّاقة تحملق وراء كل عليقة على طريقهِ فاستولت عليهِ

الجبانة وامتلأ قلبهُ من الخوف . ولما جرحت الحجارة الحادة قدميهِ سقط على الارض باكيًا ثم ادار وجههُ وارتد راجعًا الى بيتهِ . وفي رجوعهِ تذكر بعض آياتٍ من كتاب ابيهِ وتلك قد جعلت في قلبهِ شجاعة قليلة بقولها «لا اهملك ولا اتركك تشدَّد وتشجع يش ١:٥و٦ . الستم تعلمون ان الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدًا ياخذ الجعالة . هكذا اركضوا لكي تنالوا ١كو ٩:٢٤»

وبعد ذلك وصل الى نهرٍ اسمهُ المعمودية اضطر ان يعبرهُ وكانت مياههُ تضيء بنقاوة امام عينيهِ ولكن طريق النزول الى الشاطئ كانت منحدرة للغاية ونظر نباتاتٍ ذات اشواك حادَّة نامية على ذلك واسمها الاضطهاد

فجلس حينئذٍ على راس حجرٍ بجانب النهر واخذ يتفكر في شدة تلك الصعوبات التي هي امامهُ وابتدأ يقرع صدرهُ بيديهِ ويئنُّ في مرارة الروح فتأوَّه وقال «آلا

طريق غير هذه لعبر نهر المعمودية هذا توصلني الى الكنوز الموهوبة لي من ابي تلك الجواهر الثمينة التي لبسها على صدري يجلب لي سلام الروح وصحة النفس واكليل الحياة الابدية . فليس لي جراءة آه ليس لي جسارة ان اذهب نحوها واني سافضّل خسارة تلك التي اشعر انها بالحقيقة اثمن كل شيء على مصادمة الاشواك المخيفة الجارحة . فالويل لي لان شوك الاضطهاد يصدني عن السلوك في طريق المعمودية

وحينئذٍ شعر بان صوتاً رخيماً طرق اذنيهِ قائلاً لهُ « لا تخف لاني معك لا تتلفّت لاني الهك قد ايدتك واعنتك وعضدتك بيمين بري اش ٤١ : ١٠ . كن امينًا حتى الموت فساعطيك اكليل الحياة رؤ ٢ : ١٠ »

فقام بعزمٍ ثابت ورجاء وطيد وغصب نفسهُ على النزول الى الشاطي وعبور النهر ولكن يا للخسارة فانهُ وهو نازل افلت من يدهِ عصا الصلاة وما انحنى ليرفعها ايضًا لانهُ بدونها لا قوة لهُ على ان يمر في وسط اشواك

الاضطهاد فاجهد نفسهُ وقتًا للمقاومة فمزق الشوك ثيابهُ وخدّش جسدهُ فتخضبت قدماهُ بالدم وتالمت وشجاعتهُ خارت واعيا بالكلية وحينما مشى نصف المسافة الى اسفل الشاطي وقف صامتًا مدهوشًا وأنَّ من جرى الفشل وحينئذٍ رجع على عقبهِ . فويل لمن افلت عصا الصلاة وخسر الجواهر التي كان يتمناها ويود الحصول عليها اذ لم تكن لهُ شجاعة وصبر ليربحها

وبينما كان راجعًا الى بيتهِ حزينًا التقى باخيهِ الاصغر المسمى بالاحمق مسرعًا بعزمٍ ثابت نحو نهر المعمودية ولا يلتفت يمينًا ولا يسارًا لانهُ كان شجاع الروح فهذا لما راى اخاهُ ناداهُ قائلاً لماذا انت راجع يا مذعن فقد بلغني انك سرت قدامي وكان لي ثقة ان ادركك بواسطة مشيي السريع حتى يمكننا معًا ان نجد الكنوز الثمينة لان الاخبار السارَّة التي بلغتك كالتي بلغتني

فاجاب المذعن بتنهد مستطيل وقال آهًا يا اخي فاني قد رجعت من جرى صعوبات الطريق ولولا

اشواك الاضطهاد النامية بجانب نهر المعمودية لكنت بالحقيقة قد سلكت فيهِ قبل الان فانظر كيف جسدي مخدّش

فقال الاحمق صاحب الحزم ان الياقوتة واللؤلؤة والماسة العفو والطهارة والسماء هذه جميعها تستحق مجاهدة قليلة والمًا وقتيًا . ولو عرض لي اسد في الطريق لا يمكن ان يصدني كما هو مكتوب في كتاب ابي «ان نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي مز ٢٧ : ٣ »

فاجاب المذعن الجبان الروح انني لست نظيرك يا اخي ومع ذلك اذا كان لي نصيب ان البس الجواهر فلا ريب في انها تكون لي ولو بقيتُ على هذا الجانب من النهر . فليس كل شيء في طاقة يدي ومن يستطيع ان يقاوم القدر

فقال الاحمق لا تغش ذاتك ولا تستر تهاونك وكسلك بستار القَدَر . فلو كنت مهيئًا طعامك ووثب عليك نمر فهل تبقى جالسًا باطمئنان وتقول اذا كان لي

نصيب فسوف آكل هذا الطعام او اذا كان مقدرًا عليّ فلا بد من ان ياكلني النمر . لا . بل انك كنت تنهض حالاً وتتناول السلاح الاقرب وتدافع عن حياتك نظير رجل باسل وكذلك بالشجاعة وبذل الجد والكد السعي نحو الجعالة الموضوعة امامك

فرجع المذعن الى المدينة بغم مفرط وقلب ثقيل وقدم بطيئة

فقال الاحمق ان هذا ضعيف مسكين لا يستحق ان يتحلى بالجواهر التي لم يطلبها بنشاط ولا بد من ان اذهب اليها بدونه

فمن هذا يظهر انه كان بون عظيم بين الاحمق واخوته الثلثة . فانه كان اكثر حكمةً من المتعبد وعقلهُ الثاقب ميز حالاً جهالة السجود الى اوثان الخشب والحجر . وما كان مثل الدنياوي يتلف وقتهُ الثمين بالتهاون ويوجه كل قوى عقلهِ الى مهمات هذا العالم الفاني . ولا مثل المذعن الجبان الذي ارتد راجعًا حالما

قارب النهر وراى الصعوبات. بل كان شجاع الروح ذا ارادة قوية كالحديد فان اشواك الاضطهادات القاسية ما اضعفت عزمهُ فمرَّ في وسطها كانهُ حينئذٍ نعلاً من نحاس وحينما عبر مياه المعمودية نظر الى ورائهِ بسرور وشعر بان اردا التجارب قد مضت واسرع نحو التل الذي كان على مرأى منهُ واستطاع ان ينظر حينئذٍ ليس عن بعد ذلك الصليب المدفونة عند اسفلهِ الجواهر التي أُعطيت لهُ من ابيهِ

وبيناهو سائر في طريق رافق رجلاً غريبًا تظاهر كانهُ مسافر في ذات القصد عينهِ فذلك الرجل كان اسود حالك اللون الأَان كسوتهُ بهجة واسمهُ المجرب وبعد التحيات الاعتيادية قال المجرب للاحمق يا ايها الشجاع والبطل الشهم ان شهرة بسالتك قد انتشرت في الافاق وامتدت في الاقطار وعُرِفت عند كل دانٍ وقاص حتى وصلت الى اذان عبدك واني نظرت عن بعدٍ وعرفت العزم الذي مررت بهِ في وسط اشواك الاضطهاد

التي كانت كانها اعشاب طرية امامك فانك بالحقيقة تستحق الكنوز الفائقة الثمن التي ستكون لك بعد قليل .
فما اعظم الفرق بينك وبين اخوتك الدنيا وبين اصحاب الاضاليل وكم تفوق على المذعن الجبان الضعيف فاسمح لي برافقتك فاني وان اكن لا اقدر ان امتلك تلك الجواهر ابدًا لعلي على الاقل ارى الياقوتة واللؤلؤة والماسة اللواتي هنَّ للنفس العفو والطهارة والمجد السماوي

فظن الاحمق اولاً ان هذا الغريب لص متنكر قد تعرَّض لهُ غير ان كلماتهِ الملتهبة كانت حلوة للغاية حتى ان اذنيهِ سُحرتا بالمدح المندفق من شفتي المجرب ولذا أُجبر على المشي معهُ كما لو كان صديقًا مانوسًا . وهكذا سارا معًا حتى وصلا الى اسفل الصليب وشرع الاحمق يحفر التراب بمعولٍ كان معهُ لهذه الغاية عينها فكان المجرّب يراقبهُ ويثني على قوتهِ الفعَّالة كما اثنى قبلاً على شجاعتهِ

وبعد ما حفر قليلاً صدم المعول شيئًا صلد فانحنى

ورفع من الارض علبة ذهب نقي صغيرة ففتحها واذا فيها الجواهر التي لاتثمن وهي الياقونة واللؤلؤة والماسة متلاصقة معًا في سمطٍ ذهبي . وفي الحال اخذ يقلب في يدهِ تلك الجعالة فراى حول الياقونة كلمات منقوشة بجمال فائق الوصف وهي قولهُ تعالى «مغفورة لك خطاياك مت ٩ : ٢» . وحول اللؤلؤة مكتوب قولهُ «القداسة التي بدونها لا احد يعاين الرب عب ١٢ : ١٤» . وحول الماسة عبارة مكتوبة باحرف ذهبية وهي قولهُ «ان اباكم قد سرَّ ان يعطيكم الملكوت لو ١٢ : ٣٢»

فنظر المجرب بحسدٍ واشتهاء الى الجواهر الثمينة التي لم تنزل في يد الاحمق لانهُ ما كان علقها بعد على صدرهِ وكثيرًا ما اراد المجرب ان يحلي بتلك الحلى الرجل الشجاع الذي قاوم الصعوبات العديدة لنوالها . وقد عرف ان ذاك القوى ما حصل عليها اتفاقًا ولذلك راى ان لهُ ملجًا للاحتيال

فقال الغريب المحد انها تحفة جميلة جدًّا ومال

نحوها ليفحصها. ثم قال عظيمة هي الياقوتة الحمراء ومغبوط من غُفرت اثامهُ مجانًا

فقال الاحمق نفيسة هي الياقوتة ولا احد يستطيع ان يعرف السلام الحقيقي سوى ممتلكها فطوبى للذي غُفرت ذنوبهُ الذي لا يخاف من دينونة الله العادلة

فقال المجرب واما الماسة فهي مجيدة ايضًا فان السماء بالحقيقة جمالة يستحق الحصول عليها الغبطة من اعظم الناس

فقال الاحمق المتهج ذلك حقٌّ. وحينما عبر مياه المعمودية اغتصب لنفسهِ الاسم المسيحي الجديد وقال ما امجد صيرورة الانسان وارثًا ملكوت السماء

ثم قال المجرب المحتال لكن بحسب فكري ان هذه اللؤلؤة الصفراء ما وُضعت بين الياقوتة والماسة الا لتنزع جمال الزينة كلها والارجح ان هذه الهبة تكون احسن واظرف بدونها

فقال الاحمق. ومع ذلك هي تزيد قيمتها. اوليست

صحة النفس شيئًا ثمينًا

فقال المجرب الغشاش الماكر . ان صحتك في غاية الاعتدال . ومن يعلّل نفسهُ بالخمر في وليمة لا يخطر ببالهِ ان يضع دواءً في كاسهِ . فانظر قوة ذراعك وشدة باسك وثبات قدمك وانك لا تحتاج الى صحة علاوةً عما انت علية الآن . وامعن النظر ايضًا ياسيدي في الجوهرة وقل ألا تحب ان تفضّل العفو الياقوتي الباهي والسماء الماسيَّة الساطعة الباهرة وتنحى عن طهارة اللؤلؤة البيضاء

فاخذ الاحمق يعيد نظرهُ على تلك الجواهر وكلما نظر اليها مرةً كانت تصغر في عينيهِ قيمة تلك اللؤلؤة ويقل احتفالهُ بها مع انها قد وُهبت لهُ من ابيهِ نظير الجوهرتين الاخريين

فعند ذلك سحب المجرب من جيبهِ ورقةً وفتحها واذا فيها حجر اصفر ظهر لعيني الاحمق جميلاً جدًّا مع انهُ لم يكن بالحقيقة الاَّ قطعة بلور ملونة لا قيمة لها

وقال المحتال انك سلبت قلبي بمزاياك الحميدة وخصالك وكرم اخلاقك وبناء على ذلك اريد ان اكافي لطفك وافعل لك امرًا لا افعلهُ لغيرك فاني ارغب ان اعطيك هذا الحجر الاصفر الثمين المسمى السرور بدلاً عن لؤلؤتك الطهارة . ولي خبرة عظيمة في تمييز الحجارة الكريمة لكن اعطني رضاك ياسيدي وهذا التبادل يتمُّ حالاً

ولما سمع الاحمق ذلك داخلهُ الشك والريب وفضَّل قلبيًا السرور على الطهارة الاَّ انهُ شعر ان في داخلهِ شيئًا يقول لهُ ان هذا جهالة وغلط محض فاياك ان تترك نصيبًا وُهب لك من ابيك

ولما نظر المجرب ان الاحمق المسيحي مرتابٌ تحقق ان تعرضهُ له جاء بنصف المقصود . فشرع يقلب الحجر المزور المسمى السرور الى كل الجوانب حتى يسطع عليهِ النور ويتكلم بالفاظ الازدراء على لؤلؤة الطهارة ويقول انها مناسبة لزينة النساء فقط

واخيرًا اقتنع الاحمق ان يبدل اللؤلؤة بقطعة الزجاج الملونة وقال للمجرب احترس من ان تضرّ يا فوتني وماستي باخذك اللؤلؤة من بينهما وانا لا ابالي كثيرًا بطهارة القلب بل بالمغفرة عن الماضي والسماء لاجل المستقبل لتكن ملكي الذي لا ينتزع مني ابدًا

فيالهُ من افتخارٍ باطل ويالهُ من صنيع اشد بطلانًا ويالها من جهالة تجاوزت كل حد . ولولا خيانة المجرّب المتلصص وكثرة احتيالهِ ما سلم الاحمق جوهرتهُ لذاك السارق . وحينئذٍ انحدر الغشاش بغتةً الى اسفل الجبل بسرعة كلية حتى ان الاحمق المعيي من جرى التعب ارتعدت فرائصهُ ودهش اذ لم يكن لهُ قوة على ان يتبعهُ وللحال غاب ذاك الماكر الذي اختطف الكنز الثمين عن النظر . فرجع الاحمق حينئذٍ على عقبهِ بمرارة وخجل شاعرًا بضلالهِ . فيا ليت كانت فيهِ حكمة ليعرف ان نقاوة السجية وصحة النفس لا تنفصلان البتة عن مغفرة الخطية وعهد السماء الموهوبتين مجانًا بمحبة من الله الآب

الجزيل الرحمة. وليعرف ايضًا ان المسيح اتى ليخلصنا من حكم الناموس كما من عقاب الخطية

فيا ايها القاري العزيز هل ادركت معنى مثلي فان هذا يوضح لنا الفرق بين الجوهري والعرضي . فاسال قلبك هل تشبه احدًا من اولئك الرجال الاربعة الذين سمعت قصتهم . فهل انت نظير المتعبد تأبى ان تصغى الى الرسول الذي يبلغك اخبار العفو المفرحة والسلام بيسوع المسيح الذي اتى ليطلب ويخلص الضالين . أو لا تريد ان تفتش الكتب وتنظر أتاك الرسالة حق ام لا . وهل تسدُّ اذنيك وتقسّي قلبك حينما ياتي خادم الله لينادي لك بالعفو والطهارة والسماء الموهوبات مجانًا للانسان

او هل تشبه الدنياوي الذي اقتنع تقريبًا بان الاخبار الصالحة هي صادقة وحق وبعدئذٍ هل تعتذر نظيرهُ وتترك القضايا التي تخص النفس الى زمن موافق . وهل انت معلق قلبك على تجارتك وارباحك العالمية .

أو لا تدري ان الحياة قصيرة والموت قريب فاسمع ما قال الشاعر

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ
يومًا على آلةٍ حدباء محمولُ

واحرص لانهُ في يومٍ لا ريب فيهِ ينبغي ان تدخل في باب وادي ظلال الموت الذي العبور فيهِ قد اوجب على كل مَن وُجد على وجه هذه البسيطة . فتذكَّر تحذير مخلصنا الرهيب القائل «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كلهُ وخسر نفسهُ او ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسهِ »

او هل انت نظير المذعن مؤمن حقيقي بهبة الله يرغب قلبيًّا ان ينال مغفرة الخطية وطهارة القلب وسعادة السماء عند نهاية هذه الحياة القصيرة . وهل تحتاج الى الشجاعة الآن لتاخذ الخطوة المهمة التي يمكن ان تعرّض نفسك لالم الاضطهاد تلك الخطوة التي ربما تنفصلك الى الابد عن كل عزيز لقلبك على هذه الارض

فهل تظن انك تنثني راجعًا عن المعمودية وفوق ذلك تأمن على بركات المسيح. فيا ايها المؤمن الضعيف لا تنسَ كلمات الرب يسوع القائل «وكل من اعترف بي قدّام الناس يعترف بهِ ابن الانسان قدام ملائكة الله. طوبى للمطرودين من اجل البر لان لهم ملكوت السماء»

ولعلك ايها القارئ قد عبرت مياه المعمودية بشجاعة او سميت باسم المسيح وقد وجدت عند اسفل الصليب الكنز الذي هو اثمن من كل شيء . ولعلك تعرف الطريق التي تؤدي الى الحياة الابدية والايمان بابن الله وقد وضعت كل رجائك السموي على عملهِ التام. فاسهر واصحُ لان التجربة قريبة منك فان العدو ابليس بجانبك ويترقب كل فرصة لاقناعك بان كل من اعتمد هو في امنٍ ولو كان ايمانهُ لا يجعل ادنى تغيُّر في حياتهِ الجسدية. والانسان الذي يرغب في ان يفصل الطهارة عن الغفران والسماء يخسر الثلاثة نظير الرجل الاحمق

المذكور آنفًا . فالذي يطرح باختيارهِ اللؤلؤة البيضاء يفقد الياقوتة والماسة لانهُ هكذا يقول المخلص القدوس الصادق المحب ٠٠ ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السماء بل الذي يفعل ارادة ابي الذي في السماء

فعسى الله يعطيك ايها القارئ نعمةً لتاخذ الكتاب المقدس في يدك اليمنى وعصا الصلاة في اليسرى . ويقتادك بروحهِ القدوس الموعود بهِ اجابةً للصلاة حتى تستطيع ان تذهب في طريقك بايمانٍ وبدون خوفٍ دائمًا تحت قدميك الاشواك المسيجة في طريقك . ويقدّرك ان تجد الكنوز الجزيلة الثمن وتتمسك بها بشدة الى النهاية وتعلقها على قلبك وهي العفو والمسامحة بكل خطية ماضية والوعد باكليل سماوي وقداسة الحياة التي بها كل مسيحي حقيقي ينبغي ان يمجد الله

الفصل الخامس

تابع مثل الجواهر الثلاث

ان المذعن بعد رجوعهِ الى المدينة خوفًا من مشقات الطريق جلس في بيتهِ منكسر القلب وعلى وجههِ علامات الكرب والحزن وقد حُرم الراحة في ليلهِ والسرور في نهارهِ وما خطر على بالهِ ان يذهب لزيارة اصدقائهِ وقلما كان يمس الطعام الذي وضعتهُ امامهُ زوجتهُ اللطيفة جوليا التي كان قلبها ممكنًا بعلاقات حبية في قلبهِ وكانت متحدة معهُ في الراي والمشيئة والرجاء حتى انهُ يسوغ لنا ان ندعوهما روحًا واحدة كما هما جسد واحد فان هذه المراة كانت تتعب لتعب رجلها وتستريح لراحتهِ. وسرورهُ يسرها وغمهُ يغمها . وبالاجمال نقول انها كانت

فريدة في ظرفها ولطفها وسيرتها وموافقتها له فمن كانت هذه صفاتها لا يظن انها تترك قرينها يغوص في لجة بحار التفكر ويتقلب تحت حملٍ ثقيل من الياس بل تشجعه بكلامها وتقويه بارشاداتها . ولهذا نقول يا لسعادة مَن يجودُ عليهِ الزمان بمثلها

ان هذه الفاضلة كانت تراقب في سكينة احزان قرينها وتتأوّهُ لتأوّههِ فدامت على مثل ذلك برهة الى ان فرغ صبرها وضاقت نفسها عند ما رأته يتوجع في كربهِ واحزانهِ حتى لم تستطع الهدو والصمت بعد

فقالت ما بال سيدي حزينًا كل هذا الحزن ولماذا هجر النوم واعتزل الطعام او ليس ان دخولي تحت حمل اتعاب سيدي هو اعزّ لديَّ من التمتع باعظم المسرات

ففتح المذعن قلبهُ لزوجتهِ لانهُ ما كان يامن احدًا على سرهِ وشرع يقول اعلمي ياجوليا انهُ منذ زمن ما اتى من عبر المياه المظلمة رسول من قبل ابي العظيم الجزيل

الرحمة ذلك الاب الذي ما رايتهُ قط ولكنهُ يحبني محبة لا توصف وذلك الرسول الذي يدعى عبد الله اتاني واخوتي الثلثة بالرسالة الآتية وهي قولهُ « انني حامل اليكم يا اخوتي اخبارًا مفرحة من قبل ابيكم العظيم الرحيم الذي يعتني دائمًا باولادهِ . وهي انهُ عند اسفل صليب كنز لا يثمَّن محفوظ لكم وفيهِ ياقوتة تدعى العفو ولؤلؤة تسمى الطهارة وماسة اسمها السماء . وهذه الثلاث ملتصقة معًا في صيغةٍ ذهبية ولا تنفصل البتة الواحدة عن الاخرى . فالذي يلبس تلك الجواهر على قلبهِ ينجو من الخطر وينال دوام الصحة ويصير وارثًا لعرشٍ مجيد . وهذا الكنز هو هبة مجانية من ابيكم فمن طلبهُ منكم في الطريق المستقيم ينالهُ لا محالة

قالت جوليا بالحقيقة ان هذه الاخبار عجيبة وغريبة جدًّا فهل ياترى آمن بها سيدي واخوتهُ

قال ان المتعبد لم يصدق ذلك ولا اراد ان يصغي الى عبد الله ولا ان يقرا الكتاب الذي اتاهُ بهِ الرسول

من ابينا (واذ قال هذا وضع يدهُ على كتاب يسمى الكتاب المقدس كانت جوليا كثيرًا ما تسمعهُ يتلوهُ على انفراد) . واخي الدنيويُّ ضادَّ الرجل الامين الشجاع الذي ترك ارض ميلادهِ واتانا في وسط المشقات والمخاطر بالاخبار الصحيحة المفرحة ولكن قلب اخي هذا الثاني كان موضوعًا على تجارتهِ ومتعلقًا باشغالهِ العالمية حتى انهُ اهمل طلبهُ الكنوز الى فرصة اكثر موافقة

فصاحت جوليا قائلةً واخسارتاهُ ان هذا الدنيوي المسكين وهو في وسط انهما كاتهِ ولذاتهِ أُصيب بالهواء الاصفر وفني من الارض ولم يُنظر بعد نظير المياه التي تغوص في الرمال فكيف تهاون في وقت الخلاص واين هي الفرصة المناسبة التي عيّنها فانها قد فاتت ومضت كما مضى هو آه ياليتهُ ما تاخر ولا توانى عن طلب ما لم يحصل عليهِ بعد . فهيا بنا ياسيدي لنطلب ما قد خسرهُ اخوك لئلاَّ يحلَّ بنا اذا تهاونّا ما حل بهِ وما ادراك ان مصيبة اخيك ليست تحذيرًا لنا فقد قيل

بذا قضت الايامُ ما بين اهلها

مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

فاحترس من ان يفوت الزمان وتغيب شمس الحياة فلا نستطيع حينئذٍ ان نطالب تلك الكنوز

فقال لما كنت حاضرًا جنازة اخي المذكور جزمت في نفسي على ان لا اتهاون بطلب الكنوز والتفتيش عنها كما فعل هو. وقد شدّدت ذاتي وخرجت للسفر. وكانت رغبتي في ان احلي قلبي بجواهر العفو والطهارة والسماء عظيمةً جدًّا

اما جوليا فما احتاجت الى ان تسال رجلها عن انهُ هل وجد تلك الجواهر او لا . لانها رات على وجههِ علامات الكدر والغم وذلك كان برهانًا لها على انهُ لم يمتلك الكنوز بعد

فقال متنهدًا انني قد وجدت السفر وراء تلك صعبًا جدًّا لانهُ لاجل الحصول على تلك ألتزِم ان اعبر النهر الذي يقال لهُ نهر المعمودية الذي عبورهُ يبعدني

عن اصحابي ولا استطيع الوصول اليهِ بدون الاجتياز في وسط مخاطر وآلام هذا عديدها لان الشاطئ عميق جدًّا وعلى ذلك الشاطئ تنمو النباتات ذات الاشواك الجارحة التي تسمى الاضطهاد . والعليق الذي يدعى الخسارة والاحتقار والاهانة . فقد مشيت بعض خطوات نحوهُ ثم توقفت قليلاً حيث ليس لي اطاقة ولا جراءة على ان اذهب بعد فان الاشواك والعليق قد مزقا ثيابي وجرحا جسدي فغدوت مضرجًا بالدماء ولا بُدَّ من ان أَئن في مرارة روحي . نعم ان رغبتي في امتلاك العفو والطهارة والسماء عظيمة وانما لا اقدر ان احتمل المشقات التي لا بد من ان تصادفني في المرور . وعند ذلك أَنَّ طويلاً وقال . انني رجعت فالويح لي انا الشقي

حينئذٍ تساقطت العبرات من عيني جوليا لما سمعتهُ من زوجها وشعرت بان الكنوز التي خسرها كانت جزيلة الثمن . وبعناء جزيل وتعب عظيم تعلمت ان تقرا قليلاً في الكتاب الذي كان عظيم الاعتبار عند زوجها

وكانت تفتكر كثيرًا ليلاً ونهارًا في ما سمعتهُ وطالعتهُ

فقال لها بعد ما توقف قليلاً انما الذي زاد ني خجلاً وغمًّا هو معرفتي بان اخي الاصغر المسمى الاحمق الشجاع الشريف قد فعل ما لا اتجاسر ان افعلهُ انا. فانهُ داس الاشواك تحت قدميهِ وما اكترث بعلايق الخسارة والاحتقار. وجدَّ في مسيرهِ نظير المسابق القوى الذي يرى الجعالة قريبة منهُ وسوف يسمع هتاف الذين ينظرونهُ واضعًا يدهُ على الاكليل. وكان نظير البطل الذي لا يفشل في يوم القتال وقد خرق صفوف الاضطهاد وعبر مياه المعمودية. ولا ريب في انهُ لابسٌ الآن هبة الاب وان كل خطاياهُ مغفورة وفضيلتهُ تضيءُ في سيرتهِ وروحهُ مبتهجة بثقة الحصول على اكليل الحياة الابدية. واما انا فبناء على جبانتي ساندب ضعفي الى اخر حياتي وساهلك بدون غفران واطرح في الظلمة الخارجية

ثم قرع صدرهُ وتنفس الصعداء لانهُ شعر كمجرم يسمع

صوت القاضي بالحكم عليهِ بالموت. وحينئذٍ رفعت جوليا
وهي عند قدميهِ عينيها وقالت ياسيدي انهُ لم يفت الوقت
لان تعمل نظير ما عملهُ اخوك. وان زمان الفرصة لم يمضِ
حتى تقوم وتذهب طالبًا الكنوز ولا يمنعك شيء عن ان
تاخذ في يدك عصا الصلاة التي بها تسحق اشواك طريقك
فخيرٌ لك ان يتجرح جسدك من ان تكون منكسر القلب
كل الايام. وافضل لك ان تتكبد المشقات وقتًا قصيرًا
من ان تكون مخذولاً الى الابد. فكان المذعن يصغى
بتعجب الى كلمات مشجعة كهذه من فم امراة وعند ذلك
قال هوذا انا ناظر عَصَوي صلاة فكيف وجد اثنتان.
فعلا حينئذٍ وجه جوليا احمرار الخجل وانغضت راسها
وقالت بصوت منخفض وانا مستعدة ان اذهب مع مولاي.
فقال لها بحيرة وذهولٍ هل تقدرين وانتِ امراة ضعيفة
ان تحتملي اشواك الاضطهاد وعليق التجارب أما تعتبرين
شرف طائفتكِ. فانتِ ضعيفة وغير عارفة بمخاطر العالم
فانكِ ربيتِ مصونة بعيدةً من كل المصائب نظير

اللؤلؤة المحفوظة في صدفتها

فمسكت جوليا عصا الصلاة وقالت بصوتٍ مرتجف وان اكن ضعيفة فانني سأتوكأ على هذه العصا باشد اعتماد واما من جهة الصعوبات فاحبُّ ان اشارك فيها بفرح قريني العزيز الذي اذا كنتُ حسنة في عينيهِ لا ابالي باحتقار جيراني. واما شرف طائفتي فليس شيئًا بالنسبة الى الشرف الاعظم الذي يكون لي بين اصحاب الملك العظيم . فقم بنا يا سيدي لنذهب حالاً ولنعبر نهر المعمودية معًا فانا لست الاَّ امراة لكنني تعلمت من ذلك الكتاب المبارك ان الاب يحب بناتهِ كما يحب بنيهِ ومن يعلم ان لا عطية محفوظة لي وان كنت غير مستحقة ان انظر اليها أفلا يمكن ان انال ايضًا جواهر الغفران والطهارة والسماء

فنهض المذعن بسرعة حينئذٍ وقال يا للعجب كيف ان امراة مستعدة ان تترك كل شيء وتجاسر على كل شيء وتحتمل كل شيء ورجلاً مثلي يفشل راجعًا نظير الجبان.

فما علمي يا عزيزتي ان صوتكِ نظير صوت الرجاء في قلبي وها انني سامتثل في اخي الشجاع وسنعبر معًا مياه المعمودية على رغم كل الموانع

وصباح اليوم التالي باكرًا جدًّا قام مع امرائهِ واخذ كل منهما عصا الصلاة بيدهِ واخذ الرجل ايضًا الكتاب معهُ وخرجا من وطنهما وشرعا يجدّان في المسير وكان قد سطع نور الشمس الباهي على رؤوس الروابي والاكام العالية والغياض الخضراء قبلما وصلا الى راس تلّ يشرف على نهر المعمودية وفي ذلك الوقت كان التعب قد اثّر في جسم جوليا اللطيف الاّ انها استندت على عصاها ونظرت بلطف في زوجها المقتفية اثارهُ ثم التفتت ايضًا الى الجاد النقي المجيد فوقها وافتكرت في الغفران والطهارة والسماء وحينئذٍ نسيت اتعابها. فبقي الرجل ماشيًا امامها ولكنهُ وقف على راس الشاطئ وزوجتهُ معهُ وخاف من ان لا تكون لها قوة على ان تمرّ في وسط اشواك الاضطهاد المخيفة . اما قواهُ فقد خارت ثانيةً وقلبهُ ضعف داخلهُ

الاَّ انهُ لما نظر جوليا في ذلك الارتباك والحزن لاقت نظرتهُ بتبسم قال لها ألا تريدين ان تستريحي قليلاً . فقالت بفرح لا يامولاي فانني مستعدة ان اذهب سريعاً معك . وعند ذلك ملأ العجب نفسهُ وراى ان شجاعة امراة قد احيت رجاءهُ وجددت قلبهُ

فشرعا ينزلان الى الشاطئ وكان المذعن مهتمًّا بزوجتهِ حتى انهُ قلما شعر بالاشواك التي كانت تجرّح جسدهُ . وهذه المراة اللطيفة الجسم والشجاعة الروح زادت محبة زوجها لها لانهُ راآها رفيقة وارثة معهُ الحياة الابدية معينة لهُ على اتعابهِ ومشتركة معهُ في مصائبهِ وليست عبدة لشهواتهِ كما هي العادة عند الكثيرين

فتكبدت مشقات اكثر من زوجها وكانت لابسة حسب الزيّ الهندي عدة حلق في اذنيها (على الاقل دزينة) فتعلق عليق الطريق بالحلق وكاد يمنعها من المرور فصارت كانها اسيرة مكبّلة بقيود وقد هطلت الدموع من عينيها فاجتهد المذعن في ان يساعدها على

النجاة من تلك الاشواك واذ وجد ذاتهُ مرتبكًا اكثر بآلام الاشواك الجارحة صرخ قائلاً ماذا نفعل ياجوليا . اما هي فاجابتهُ بالفعل فقط لا بالكلام . فانها رفعت يديها الصغيرتين المخدشتين وكسرت واحدة من الحلق التي اعاقتها عن التقدم وتركتها معلقة بالاشواك . ثم تبسمت وقالت انظر انني تحررت

فقال وهو باذلٌ جهدهُ في ان يفلت من العليق . نعم ولكن يا للخسارة ان جواهرك فُقدت

فقالت انني طالبة جواهر ابهى منها واجمل . فهل اناسف على الاشياء الفانية الباطلة اذا كنت احصل على ياقوتة الغفران ولؤلؤة الطهارة وماسة السماء

وما زالا مسافرين معًا حتى وصلا اخيرًا الى اسفل الشاطىء وقد خرقا الاشواك ملطخين بالدماء وكالّين تعبًا الاّ ان جراحهما لم تكن مميتة فاخذ كلٌ منهما بيد الاخر وعبرا تلك المياه الرائقة التي برودتها قدمت لهم تجدُّد الحياة والانتعاش فاخذ المذعن بيد زوجتهِ ليساعدها

على العبور الاّ انها قلما احتاجت الى مساعدته ولما وصلا الى الشاطىء على الجانب الاخر من النهر نظر الى امراته فراى وجهها يتلالأ بالبهاء السموي والافراح خلافًا لما كان براها قبلاً فكان جبينها كالقمر المنير حينما تتجلى عنهُ الغيوم واشعتهُ الفضية تسقط على الارض . وما كان صوت اطرب الى اذانهِ من صوت امراتهِ بقولها يا مولاي العزيز ان النهر عُبر فلنفرح الآن ونقدم الشكر

وكان ما وراء الشاطىء اقل انحدارًا من الاول وانما اشواك الاضطهاد جعلت الصعود عليهِ عسرًا. اما روح المذعن فقد حصلت على شجاعة جديدة فعبر النهر المخيف بدون ان يلحق بهِ ادنى ضرر

وشعر حينئذٍ برجوع قوتهِ . ومدَّ يد المساعدة الى امراتهِ السعيدة التعبة بفرحٍ وبعد قليل وقف الاثنان عند راس الشاطىء الذي منهُ نظرت اعينهما الصليب على التل. فصاح المذعن قائلاً هناك كنزنا وعن قريب سنحصل عليهِ

وبينما هما كذلك واذا بصوت انينٍ اخافهما بغتةً فلم يستطيعا التكلم وكان ذلك الصوت كانهُ خارج عن جسم يتقلب تحت آلام الموت وهو على اخر رمق

فقالت جوليا التفت يا سيدي هوذا هناك رجل مضطجع تحت شجرة نخلٍ ولعلهُ مصاب بجروحٍ فاسمع انينهُ المخيف. ولما سمع ذاك الرجل المسكين صوتها نهض عن الارض حتى مكّن المذعن ان يرى صورة وجههِ الذي اخذت منهُ الآلام كل ماخذ

فاي حيرة اعترت المذعن حينما تبرهن لديهِ من تلك العلامات والهيئة ان ذلك الرجل كان اخاهُ المسمى بالاحمق فقال كيف يمكن ان يكون هذا ثم قال نعم انهُ اخي حقا واسرع نحو ذلك المكان

فكان الاحمق المسكين مضطجعًا تحت تلك الشجرة في حالة الضعف والمشقة. فلما اقترب منهُ المذعن اخذ بيدهِ واقامهُ وعانقهُ قائلاً ماذا اصابك يا اخي فانت هو اخي الاول والثاني لانهُ أما عبرنا كلانا مياه المعمودية او

ما نحن مسيحيين وان كنت مسيحيًّا قبلي. فالمسيحي هو الاسم الجديد المعطى للذين يعبرون النهر

فقال الاحمق التعيس آهِ لا تدعني مسيحيًّا لاني لا استحق هذا الاسم . ولما راى المذعن ان آلام اخيهِ كانت عظيمة صرخ قائلاً بخوف وشدَّة ماذا حدث لك وماذا فعلت

ومضت برهة قبلما تمكَّن الاحمق ان يخبر اخاهُ بقصتهِ المحزنة فخفض راسهُ خجلاً حتى تعجب اخوهُ من ذلك وقال كيف من عبر مياه المعمودية بشجاعة وعزم يظهر الآن ضعيفًا شقيًّا . ثم استقصى المذعن الامر وقال أما وجدت الجواهر التي منحها الاب

فأنَّ الاحمق وقال قد وجدتهنَّ نعم وجدتهنَّ ولكنني لم اعلنهنَّ على قلبي والآن خسرتهنَّ الى الابد . ثم طفق يقصُّ عليهما ما كابدهُ من الحزن والشقاء فقال بعد ما عبرت النهر عرض لي رجل غريب اسود الوجه متزرًا بثوب فاخر ذو لسان ملق دلاَّس

فقال المذعن اظن اني اعرفه واسمه المجرّب

قال الاحمق . انه مشى بجانبي مادحًا شجاعتي وغيرتي حتى تشامخ قلبي بالافتخار وافتكرت ان لا شيء امامي سوى النجاح والمجد . فوصلت الى اسفل الصليب وهناك وجدت علبة ذهبية ثمينة وفقًا لكلمات رسول ابي وحالما فتحتها وجدت فيها تلك الجواهر الفائقة الوصف منظومة معًا في سمطٍ ذهبي وعلى ياقوتة الغفران هذه الكلمات ,, مغفورة لك خطاياك ,, وحول لؤلؤة الطهارة ,, الفداسة التي بدونها لا يعاين احد الرب ,, وحول الماسة ,, ان اباكم قد سُرَّ ان يعطيكم الملكوت ,, فلا كنز كتلك الجواهر التي يعطيها ابونا مجانًا . فابتهجت جوليا عند سمعها صفات الجواهر من كلام الاحمق

فقال المذعن . ولماذا لم تضعها حالاً على قلبك

فقال الاحمق التعيس . لان المجرب الخادع اقنعني بانه وان يكن الغفران عطية فائقة والسماء جائزة يمكن ان يطمع فيها اعظم الملوك ومع ذلك لم تكن رغبتي قليلة

في لؤلؤة الطهارة المكمدة اللون التي قدم لي المجرب عوضاً عنها حجراً اصفر لقبهُ بالسرور وقال لي انهُ اعظم قيمة منها. فالويل لي لاني اصغيت الى صوت المجرب الخدّاع ورضيت ان اعتاض عن لؤلؤتي بذلك الحجر الذي انكسر بعد ئذٍ في يدي نظير قطعة زجاج لا قيمة لها وظننت اني استطيع ان استغني عن الطهارة واكتفي بالغفران والسماء وتركت الخيال ياخذ كنزي بيدهِ ففصل اللؤلؤة عن الياقوتة والماسة مع ان الثلاث لا يمكن فصلها البتة. فالمجرب اذ عرف رداءتي لا بل حماقتي ذهب الى حيث لا قدرة لي على ادراكهِ حاملاً معهُ ما بذلت جهدي في الحصول عليهِ

فقال المذعن أما ترك لك شيئاً. قال انهُ ترك لي التبكيت والخجل وجوهرة كاذبة اسمها السرور وجدتها لا قيمة لها بالكلية. فاسمع قصتي للنهاية. انني جلت مدة غير راضٍ ان ابقى عند الصليب ومع ذلك لا اريد الرجوع الى المدينة التي كنت قد تركتها بعزمٍ ثابت

ورجاء وطيد واخيرًا اضطجعت لانام ومن ذلك النوم استيقظت بالم شديد فان الحية الخبيثة التي تسمى الخطية المحيطة بنا بسهولة قد انسابت نحوي وعاقبتني بلسعها صدري

وعند ذلك ازاح ثوبهُ وكشف عن الجروح حيث فرّغ ناب الحية السامّ سمهُ المميت فنظرها المذعن وجوليا بحزن ورعدة

فقال المذعن يا اخي انني اعلم جيدًا الم عضة الحية القديمة الخبيثة وعلاج ذلك لا يكون الاَّ بقطع النسم المجروح حالاً فهكذا ينبغي ان يكون ويعمل بالسرعة . ثم اخرج سكينًا حادة كانت في منطقتهِ وكان منقوشًا على مقبض تلك السكين هذه الكلمات ”العون من فوق“

انهُ لامر غريب كيف ان الاحمق الملقب بالشجاع اجفل نظير ولدٍ ضعيف من الآلام التي ظنها اخوهُ عقابًا . فصرخ بضجر قائلاً لااريد علاجًا قاسيًا كهذا اليس على هذه الاشجار اوراق كثيرة شافية تسمى العزم الجيد فهذه يكفي

وضعها على الجرح فانها حالاً تمتص كل السموم منهُ

ثم اخرج المذعن كتاب الاب باهتمام وكرب وبسرعة شرع يقلّب صفحاتهِ املاً بوجود ارشاد الى ما يصلح لحال لحال اخيهِ وكانت علامات الحزن والغم تلوح على وجههِ وحركاتهِ معًا وهو يقول ”وان اعثرتك يدك فاقطعها لانهُ خيرٌ لك ان تدخل الحياة اقطع من ان تكون لك يدان وتمضي الى جهنم الى النار التي لا تطفأ حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ . وان اعثرتك رجلك فاقطعها الخ مر ٩: ٤٣–٤٨“

فقال الاحمق ما معنى هذه الكلمات المخيفة التي يتشعر الانسان من سماعها

قال المذعن آهٍ يا اخي ان المعنى واضح . فمهما يكن العذاب عظيمًا فبواسطة السكين التي هي العون من فوق يمكنا ان ننجو من سم الخطية . فلا يكون لك صحة ولا سلام وحياتك تكون في الخطر الكلي ما لم تنزع حالاً تاثيرات حية الخطية

فلاحت سمات اليأس على وجه الاحمق المسكين الذي كان يؤلمه التاثير الخفيف على الموضع الموجوع فكيف يمكنه ان يحتمل ما هو امرُّ من عذاب السيف

ثم اخذت جوليا الكتاب من يد زوجها وقرات بنغمة الحنو هذه الجملة « وليترك الشرير طريقه ورجل الاثم افكاره وليتب الى الرب فيرحمه والى الهنا لانه يكثر الغفران اش ٥٥ : ٧ »

فبهذه الكلمات التي هي كلمات الرجاء نشأ شجاعة لقلب الاحمق فقال . انا اسلم بذلك وان تالمت فانا اتالم بحسب استحقاقي

فاحتمل كل ذلك بسكوت وحزن فزال الجزء المسموم بالحية حين ركعت جوليا وصلت لاجل اخيها الضال

قال المذعن الامين الآن شاركت يا اخي ذاك الذي حفظك بسلام والذي قلبه يقطر دماً على الخاطىء لكي يساعده مساعدة ربانية وهو يتحمل عنه الالم والآن

يمكنك ان ترجو الحصول بعد على عطية الاب السموي التي هي الغفران والطهارة والسماء

فقال الاحمق ان ذلك لمن المستحيل فانني لما سلمت للمجرب واعطيتهُ شعرت باني قد خسرت الكنوز لا محالة. فاذهبا في طريقكما السعيد فيمكن ان يكون لكما الكنز واما انا فساحمل سمة اللدغة على صدري والجرح العميق في قلبي الى القبر. ثم اغمض عينيهِ لانهُ كان ضعيفاً عن ان يتكلم بل غير قادر على السفر بعد فكانت عواطف المذعن وجوليا مملوة شفقة على ذلك الذي يجهلهِ وحماقتهِ انقاد الى تملقات المجرب واهان روح الله القدوس وجلب عاراً للاسم المسيحي

فعزم المذعن ان يمكث قليلاً مع اخيهِ لكي ينعشهُ ويحيي رجاءهُ . واما جوليا فانها رجعت الى الوراء تاركة الاخوين معاً وانفردت لتصلي لاجل زوجها ولاجل نفسها واذ كانت قد تعبت استلقت بعد ذلك تحت شجرة مستثقلة بالنوم . اما المذعن فاجتهد في تعزية اخيهِ عبثاً

وكان تكلمهُ معهُ بالنعمة المقدمة لكل الذين يتوبون عن الخطية باطلاً. اما الجزء المصاب بتاثيرات الخطية وان يكن قطع من صدرهِ بواسطة العون من فوق فما زال فيهِ جرح اليم لا ينساهُ مدى الحياة

فقال آه يا ليتني قاومت المجرب بكل قوتي ويا ليتني ضممت الى قلبي جواهر الغفران والطهارة والسماء بحيث لا تكون بعد للحية السامَّة قوة على ضرري (١)

فكان غارقًا في لجة الياس المدلهمَّة . وحينما

(١) ارجوان لا يكون سوء فهم يقود القاري الى انكار مثلي هذا. فان المؤمن الحقيقي نفسهُ ينبغي ان ينتظر محاربات كثيرة من المجرب ومصارعة قوية مع الخطية المحيطة بنا بسهولة فان لؤلؤة الطهارة انما تكمل في عالم المجد ومع هذا كلهِ ليس بر المسيح المعطى لنا فقط بل شبهًا كاملاً بالذي قال تعلموا مني وهذا ايضًا عطية من عطايا الله المجانية لاولادهِ بواسطة روحهِ الساكن فينا

استيقظت جوليا من النوم فقدمت نحوها وعيناها تضيئان بالفرح والابتهاج

فقالت لزوجها يا مولاي انني رايت الآن حلمًا غريبًا سارًا وهو انني ابصرت المجرّب العدو الالد الاسود لص الانفس راكضًا بسرعة وحاملاً بيدهِ جواهر اخيك الياقوتة واللؤلؤة والماسة . فانقضّت بغتةً من السماء حمامةٌ بيضاء وخطفت تلك الجواهر من يدهِ وحملتها طائرة بها حتى غابت عن النظر . ثم سمعت صوتًا مطربًا رخيمًا يقول دع النادم الحزين على خطاياهُ ودع التائب الذي ترك الخطية يفتش ايضًا عن كنزهِ المفقود فسيجدهُ حيث وجدهُ اولاً اي عند اسفل الصليب

فظهرت علامة الرجاء الاولى على وجه الاحمق الجريح فانارتهُ حالما كان مصغيًا الى قصّ حلم اختهِ ومستندًا بعجزٍ قوي على عكاز الصلاة . فشدّد ركبتيهِ المرتخيتين وقال بصوت منخفض فلنذهب الآن وان كنتُ خاطئًا مسكينًا مجروحًا فلا بدَّ لي من الموت

فافضل ان اموت عند اسفل الصليب

وعلى ذلك اسرع المسيحيون الثلثة معًا وهان على المذعن ان ينقب الارض المدفونة فيها العلبة الذهبية بسكينهِ العون من فوق . وبعد ما حفر قليلاً ظهرت لهُ العلبة فاخذها بفرح وفتحها فوجد فيها الجواهر

ولما رات جوليا ذلك صاحت بصوت الفرح وكادت تطير من عظم السرور لان هذه المرة الاولى التي وقع فيها نظرها على الجواهر الثلث البهية التي لا نظير لها والتي هي اثمن من كل كنوز العالم وهي ياقوتة الغفران ولؤلؤة الطهارة وماسة السماء

فجثا الاحمق على ركبتيهِ واطرق عند ما شعر بعدم استحقاقهِ للحصول ثانيةً على الكنز الذي هو هبة الاب المجانية فقبّلهُ اولاً ثم ضمهُ الى صدرهِ المجروح ولكن حالما وضعهُ على صدرهِ شعر بان صحة جديدة حلّت صميم فؤادهِ فشفي جرحهُ وتشددت ركبتاهُ وانتصب مستقيمًا فرحًا نشيطًا مسيحيًا شجاعًا مستعدًا لمصارعة المجرّب وغلبتهِ اذا

تصدّى لهُ ثانيةً

وهكذا فعل المذعن وزوجتهُ المحبوبة جوليا الوديعة الامينة فانهما علقا على قلبيهما الى الابد الياقونة واللؤلؤة والماسة وشعر الثلثة بغفران خطاياهم وعاشوا في الطهارة متمتعين بالرجاء صابرين في الضيق مواظبين على الصلاة ناظرين بامانة حتى الموت الى الوقت المجيد الذي فيهِ ينالون اكليل الحياة الذي وعد بهِ الرب للذين يحبونهُ

فيا ايها القاري العزيز هل استفدت شيئًا من هذه القصة فلعلك عبرت مياه المعمودية وقبلت الاسم المسيحي فهل سلمت للمجرب وهل اثار الحية القديمة سواء كانت خطيةً ام كبرياء ام خداعًا ام حبَّ مال نجست نفسك فارجوك ان تنزعها وان تطرح عنك الشر وتزيلهُ بالعون الالهي والاَّ فتهلك في خطيتك . فليجرحك شفاء . ولذنبك غفران . والطهارة يمكن ان تكون لك . ويمكنك ان تحصل على الملكوت السموي لان دم يسوع المسيح

يطهرك من كل خطية والروح القدس ينير قلبك. لكن ارجوك ان لا تتاخر لان الحياة قصيرة وزمن النعمة يمضي حالاً . فالخاطي التائب الذي يأتي حملهُ عند اسفل الصليب يجد كنوزًا ثمينة جدًّا يا قوتًا ولؤلؤًا وماسًا اي غفرانًا وطهارةً وسماء

الفصل السادس

السياج المنقوض

كانت فتاة اسمها مريم ساكنة في بيت فاخر البناء موقعهُ على راس جبل عالٍ من ولاية بونجوب في بلاد الهند وكانت تلك الفتاة انكليزية الجنس تحب الله وتشفق على اولاد الهنود الصغار المساكين

فكان تحت ملاحظة تلك السيدة بل في مدرستها عدة من البنات البعض منهنَّ يتيمات والبعض لهنَّ والدون ساكنون في السهول الحارة ويرغبون ان يمتعوا اولادهم بهواء الجبال اللطيف النقي البارد ولذا كانوا يرسلون بناتهم بسرور الى ذلك المكان ويضعونهنَّ في مدرسة تلك السيدة التي لا تعلمهنَّ القراءة والكتابة

والشغل فقط بل تعلمهنَّ ايضًا اللطف والوداعة والطاعة والتقوى . فكانت كثيرًا ما تصلي معهنَّ ولاجلهنَّ حتى لم تكن واحدة منهنَّ ليس لها محل في قلب تلك السيدة وانما واحدة من اولئك البنات تدعى كولدستا كانت سبب تعب وحزن لها فالتعب والحزن كانا مسببين عن امرين الاول ان كولدستا كانت مصابة بنوع غريب من العمى فكانت تنظر وتميز جيدًا اختلاف الالوان لكن على مسافة قريبة منها حتى انها كانت تقدر ان تقرا وتكتب وتخيط احسن من بقية البنات في المدرسة ولكنها لا تستطيع ان ترى شيئًا على مسافة قدم منها ولذلك كانت كثيرًا ما تدوس كل ما في طريقها واحيانًا تسقط على الارض متألمة لانها لا تبالي في مشيها ولا تريد من يقودها بيدها

وكان عندها قارورة طيب صغيرة ثمينة مرصعة بالعاج ارسلها لها ابوها واوصاها ان تحملها دائمًا على صدرها وقال لها ذلك الاب الحكيم يا ابنتي ادهني بهذا

الطيب عينيكِ فانهُ يزيل كل غشاوة عنهما ويجعلكِ تبصرين كل شيء جليًا ويحفظكِ من الصدم والسقوط

فيا للعجب كيف ان ذلك الطيب كان دائمًا لكولدستا ومع ذلك لم ترد ان تستعملهُ البتة بل كانت مكتفية بالنظر الى خارج القارورة التي كان مكتوبًا على غطائها اسم ذلك الطيب وهو "امتحان الضمير بالصلاة" وكان على جوانبها قولهُ "جربوا انفسكم هل انتم في الايمان امتحنوا انفسكم ٢ كو ١٣: ٥"

فكولدستا سمعت ان الطيب يسبب المًا لعينيها في اول الامر فلهذا لم ترضَ ان تدهنهما بهِ . فقالت انني اقدر ان ارى كفاية فان لا واحدة من البنات تستطيع قراءة الكتاب احسن مني فلماذا اتعب نفسي بامتحان الذات هذا فلا فائدة لي من كل ذلك وانا اكرههُ اكثر من كل شيء يُكرَهُ

وبعد سماع ما ارتكبتهُ كولدستا بعدم امتثالها لوصية ابيها الحكيم لا احد يتعجب من الاخبار بالامر الثاني

الذي كان سبب حزن للسيدة مريم من الابنة المذكورة .
وذلك ان هذه الابنة كانت تحت محاربة روحين شريرين
وهما الافتخار والعناد اللذين لم تنظرهما لكونها عمياء كما
قلنا فانها لو نظرتهما لكانت خافت وارتعدت لان لا
شيء مخيف كالخطية

لكنها طالما سمعت صوت الخطية الذي كان يطرب
اذانها . وقد تاكدت السيدة ان ذينك الروحين
الشريرين غلبا ودعتها الحديثة السن وان تكن هي لا
تنظرهما ولا تسمعهما حقيقةً بل رات تاثيرهما الظاهر في
ودعتها كولدستا الشقية وكثيرًا ما حذرت تلميذاتها
بقولها يا اولادي تحرزوا من الكبرياء والعناد اللذين
طالما يسطوان علينا لكي يضلانا ويهلكانا واللذَين أُرسلا
من قبل العدو العظيم الذي يرغب في ان يتلف نفوسنا .
ولكن كل هذه الانذارات ذهبت سدى عند كولدستا
الغبية العمياء التي كانت تصغى بقبول الى الكبرياء والعناد
وتفتح لهما قلبها بتاهيل وترحيب

قد ذكرنا انفًا ان الدار التي سكنت فيها السيدة مريم وتلميذاتها كانت مبنية على قمة جبل عالٍ ومحاطة بساحة فسيحة لاجل العاب التلميذات وتلك الساحة مسيجة باخشاب مقطوعة من اشجار الغاب وذلك السياج كان ضروريًا جدًا لان القمة كانت عالية ومنحدرة كثيرًا على كل الجوانب نظير الحائط القائم . ولولا ذلك السياج لكان اكثر البنات تحت خطر السقوط الى اسفل الجبل . وكان مكتوبًا على كل خشبة باحرف ذهبية آية نفيسة تضيء بلمعان الشمس حتى ان ذلك السياج كان زينة المكان وحصنًا امينًا للبنات واسمة الواجبات

فبعض البنات كنّ يفرحنَ كل الفرح بهذا السياج المحيط بذلك الموضع المحاط بالمخاطر لان ذلك الجبل كان مملوًا من الحيوانات البرية كالذئب والنمر والدب والاسد المخيف المدعو الشيطان الذي يجول ملتمسًا من يبتلعهُ هو وبسبب ذلك الجدار كان جميع من في الداخل

في امنٍ ولم يتجاسر احد على الخروج من تلك الدائرة
سوى كولدستا فانها كانت ترغب كثيرًا في نقض ذلك
الجدار لان اوقاتًا كثيرة كان العناد والكبرياء يحملانها
على ذلك فقالت لها الكبرياء لا شيءٌ يوجب الخوف
ولماذا تخافين الاسود والذئاب

ثم وسوس اليها العناد وقال انهُ صعب جدًّا ان
تحبسي في حظيرة صغيرة ضيقة نظير هذه . وعلى تلك
الجبال خارج هذه الحظيرة الازهار التي تشرح القلوب
بالوانها الجميلة وتنعش الفواد برائحتها الزكية وهناك
الاثمار الشهية للنظر واللذيذة للاكل

ثم قالت الكبرياء ايضًا ألا تقدر ابنةٌ ذات عزمٍ
وشجاعة نظيرك ان تدبر واسطة لخرق هذا السياج

ان الاصغاء الى الكبرياء والعناد امر مخيف وخطأٌ
فظيع لان هاتين الحيتين اللتين توسوسان الان هما كالحية
التي تكلمت مع حوّاء في جنة عدن

فشرعت كولدستا تفتكر قائلة ألا استطيع ان

اكسر او انزع خشبة صغيرة من هذا الجدار فاصنع لي منفذًا وانجو من هذه الدائرة الضيقة

فتاملوا كيف ان الافكار الشريرة تقود الانسان حالاً الى عمل الشر . فاخذت كولدستا تجول حول ذلك الجدار بقصد ان ترى مكانًا مناسبًا للهرب والتخلص من ذلك . وبعد قليل رات موضعًا مناسبًا جدًّا محتجبًا عن النظر لوقوعهِ في ظل عليقة . لكنها لم تطلب من احدى رفيقاتها ان تذهب معها بل قالت انني افضّل الذهاب وحدي

ومن يخطر ببالهِ ماعزمت على ان تفعلهُ تلك الابنة الغبية الخاطية وقد صرفت الجزء الاعظم من وقتها الفارغ في ذلك المكان المستتر المنفرد . فقطعت شيئًا فشيئًا خشبتين من خشبات ذلك السياج الجميل وكان على الواحدة مكتوبًا هكذا ,, كذلك ايها الاحداث اخضعوا للشيوخ وكونوا جميعًا خاضعين بعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع ابط ٥ : ٥ ”وعلى الاخرى ,, اطيعوا

مرشديكم واخضعوا لانهم يسهرون لاجل نفوسكم كانهم سوف يعطون حساباً عب ١٣:١٧"

اما هي فما اكترثت بقراءة الكلمات المقدسة المرقومة على الخشبتين لان عواطفها كانت متجهة نحو الحصول على العتق والتخلص من كل ما يصدُّ ذهابها عن المكان الذي حملها الكبرياء والعناد على الذهاب اليه

فوا اسفاه ويا للعجب انهُ في كل مدة تلك الايام التي كانت فيها كولدستا تبذل جهدها في نقض السياج المقدس كانت كباقي البنات الأُخر تقرأُ في الكتاب المقدس وترنم وتصلي. فما دامت خاضعةً للكبرياء والعناد ومهملة وصايا ابيها فجميع الصلوات والترانيم الخارجة من شفتيها هي في ذاتها خطية فظيعة

وقبلما خرجت البنات في الصباح من اماكنهنَّ كانت كولدستا قد اكملت عملها القبيح بقطع خشبتين من جدار الواجبات ورميهما الى اسفل الجبل . وحينئذٍ غصبت ذاتها على الخروج من تلك النافذة التي فتحتها

وهكذا نجحت في عملها هذا بسهولة

فيالهُ من امرٍ غريب كيف ان الخطاة لا توجد امامهم صعوبة في نقض سياج الواجبات حينما يتعدون الوصايا المقدسة المكنى عنها بالسياج

ففرحت كولدستا بان صار لها الحرية لتجول حيثما تريد بدون معارضة او مقاومة احد . وبينما هي كذلك واذ يدٌ مسكت كتفها بغتةً . وصوت ناداها قائلاً الى اين تذهبين ايتها الابنة العمياء الشقية

اما تلك الابنة فما كانت تستطيع ان تميز علامات الحزن التي كانت تلوح على وجه معلمتها بل ما كانت ترى المحبة والشفقة اللتين كانتا في قلب سيدتها غير انها سمعت ان الصوت كان صوت غيظ ومسكة اليد كانت بشدةٍ

فصرخ العناد قائلاً تملصي من قبضتها . افلتي من يدها

ثم صاحت الكبرياء قائلةً كيف تقدر هذه المعلمة

ان تخاطبكِ بكلام الغيظ وتجاسر ان تدعوكِ عمياء وشقية

فاخذت كولدستا تجتهد في التملص من يد معلمتها وانما ذهب اجتهادها سدى حيث لم تقدر على ذلك . ولكنها حالما رات ذاتها راجعة بالقوة والاجبار وداخلة ثانيةً من تلك النافذة التي كانت قد فتحتها في ذلك الجدار طرحت نفسها على الارض في تنهدٍ وعويل وما اصغت الى كلمات السيدة وانذاراتها الحارَّة

فوسوس اليها العناد ان تلك المعلمة ظالمة جدًّا وقاسية

ثم قالت الكبرياء ما هذا الجور والعدوان

انهُ لامر محزن استعباد ذينك الروحين الشريرين لكولدستا كل الاستعباد . حتى انها لم ترد ان تاكل ولا ان تشتغل وتصوَّرت ان صديقتها ومعلمتها اللينة المحبة ظلمتها برد عها اياها عن طريق الضلال . ولذا كانت تلك الابنة شقيَّة واجتهدت ان تجعل ايضًا كل من حولها

اشقياء ومع كل ذلك ما نظرت الى ذاتها كخاطية مجرمة ولا دهنت عينيها بالطيب الثمين الذي في قارورة العاج

فقالت تلك السيدة ماذا اعمل وكيف امنع خروفي الاعمى من الجولان في طرق الهلاك انها قد هدمت جانبًا من السياج ولا اقدر ان اراقبها في الليل والنهار واخاف انها تقصد الهرب وتجول على الجبال حيث الاودية العميقة والانهر السريعة الجري وحيث الوحوش البرية تزأر طالبة فريسة . ومن بعد التفكر والاهتمام الكلي امرّت بسد النافذة بالشوك الحاد الذي يقال له القصاص وقالت في نفسها ارجو ان ابنتي ستكون مصونة بهذا

وعند سنوح اول فرصةٍ قصدت كولدستا حيث كانت قد نقضت السياج وعزمت على الخروج ثانيةً من تلك النافذة ولكنها لم تقدر لان شوك القصاص الصارم اوقفها . فصاحت وهي تكفّ يديها المخضبتين بالدم من الاشواك قائلة يا لها من قساوة بربرية ويالهُ

من ظلمٍ لا يطاق

فنال لها العناد لا تدعيها تصدكِ عن الهرب في هذه الطريق

ثم قالت الكبرياء انها لقد ذمّتك واهانتك حيث لم تعاملك بالمحبة واللطف كما تعامل البنات الأُخر. فهي قاسية وغير عادلة لا محالة

فحينئذٍ عزمت كولدستا في نفسها على ان لا تعيقها اشد القصاصات ولا تصد عزمها. وصرفت بقية ذلك النهار بالشهيق والسكوت واخذت تردد في بالها وتفتكر فيما هي الواسطة التي بها تتمكن من النجاة ايضاً. حتى في مدة الصلاة كانت كل افكارها مشتتة وراء هذا القصد. وعند ما كانت المعلمة تقرأُ في التوراة على مسامع تلميذاتها كانت كولدستا مصغية الى وسوسة الكبرياء والعناد التي لا يمكن احداً ان يسمعها الاَّ هي فقط

فقالت الكبرياء حين تكون لكِ فرصة ان لا يراكِ احد خذي بساط العناد واطرحيه على اشواك القصاص

فربما خدشتكِ بذلك قليلاً الاَّ انها لا تصدكِ عن الذهاب

وقال العناد لا تبالي بالم قليل عند نوال مرغوبكِ

وفي هدوّ الليل المظلم عند ما كانت جميع البنات مضطجعات والمعلمة ماري مستغرقة في نومها من جرى التعب . اغتنمت كولدستا الفرصة ونهضت من فراشها حاملة معها بساط العناد وذهبت بخفة منسرقة كاللص وجدّت السير لتبعد عن البيت وتصل الى البقعة التي كانت تجول فيها قبلاً . فطرحت بساط العناد على اشواك القصاص ووجدت انها بواسطة ذلك يمكنها الصعود والنجاة وان اعتراها شيء من الالم . فابتهجت بهذا وابتدات تترنم بنغمة واطئة بحيث لا يستيقظ احد في البيت الذي كان قريبًا منها وتتغنى بهذه الترنيمة التي اولها

ميراث كل بار

دار الخلود

ولم يكن لها وقت لان تتغنى بترنيمة للقديسين الذين مجدهم لا ينتهي ومع كل هذا لم تعرف انها سائرة في طريق الهلاك وانهُ لا حق لها ان تترنم بهذه الترنيمة المختصة بالسعداء

قد تقدم القول ان كولدستا كانت سالكة في الطريق الرحب وانها قصيرة النظر حتى انها لم تدرك نور النهار لتبصر الطريق امامها

فهذه الابنة المسكينة تهورت وهي سائرة بغتةً في هاوية كانت امامها وصارت تتلمس النجاة ولا منجد فتشبثت بغصن عليق لكي تنجو فانتصف ذلك الغصن ولم يجدِها نفعًا فسقطت الى اسفل

آه فلماذا لم تتمسك بيد معلمتها الثابتة . ولماذا لم يمنعها عليق النصاص عن السقوط . ولماذا لم تؤثر فيها تلك الانذارات والنصائح لتتخلص من شر نتائج حماقتها العمياء

وقبلما وصلت الى اسفل الهاوية كانت غائبة عن

الصواب ممزقة الثياب مخلعة المفاصل مخدشة الجسد منتوفة الشعر وقد مضى عليها برهة حتى رجعت الى رشدها في الم مخيف وابصرت ذاتها مكتنفة بظلمة حالكة وبما انها لا تقدر ان ترى اشباحًا الاَّ بقربها كانت تلك المناظر تبينُ لها كانها قاعدة في قعر بيرٍ

فقالت ابن انا ابن انا أفي يقظة ام في منام آه يا لشقاوتي وتعاستي أسوء حظي ساقني الى هنا ام عنادي وتكبري فالويح لي لان كل ما حدث لي الآن لا اقدر ان انسبهُ الى القدر بل الى حماقتي وعدم طاعتي فماذا عملت ياترى وكيف اعمل الان فمن ينشلني من هذه الوهدة التي امست مسكني الابدي . فكانت كلما نظرت حولها يزداد الها وغمها وكلما تذكرت صنيعها وما حدث لها تغيب عن الصواب ويغمى عليها ولا سيما حين تتذكر حنو معلمتها والانذارات الحسنة والارشادات التي كانت عندها كالكتابة على صفحات الماء او الضرب على حديد بارد . فكان ضميرها يوبخها دائمًا على استماعها ورجوعها

عن ضلالها . فكل هذا قد جرى لها بدون ان تعرف معلمتها بشيء لانها كانت ولا ريب نائمة وغير شاعرة بشقاوة تلميذتها التعيسة وويلاتها وكذلك البنات الاخر بقينَ نائمات حتى ايقظهنَّ نور الصباح ليمارسنَ اشغالهنَّ اليومية

فكانت كولدستا المسكينة حينئذٍ مشوّقة الى ان تعرف اين هي وتنظر ما حولها ولم تكن تحرّك ذراعيها بلا وجع لانها كانت مرضضة الجسم . فلولا كبرياؤها وعنادها لكانت بين باقي البنات . ثم صارت تفتكر في قارورة الطيب التي لم تزل حاملتها مع انها عارفة ان الطيب يوجع عينيها ولكن في حالة وجودها في الضعف في المكان المظلم كانت تريد ان تطيع وصية ابيها وهذه المرة الاولى التي بها قد دهنت عينيها بطيب امتحان الضمير المزوج بالصلاة . والنتيجة كانت عجيبة اذ ارجعت بصرها الجلي ورات كلما حولها بوضوح في ضوء البدر المنير . لكن ما تشخص حينئذٍ كان منظرًا مخيفًا لشخص

تائب فانها نظرت خطرها وخطيتها فكان فوقها صخر بارز الاّ انهُ لم يضرها حين السقوط ولا استطاعة لها للصعود عليهِ فاستلقت على اشواك اكثر المًا من اشواك القصاص التي ما قدرت ان تنجو منها

وبعد ان افرغت جهدها بصراخ الاغاثة ولا مجيب صرخت تكرر قولها ماذا اعمل وقالت آهِ يا ليتني ما اصغيت الى اصوات المجربين ويا ليتني ما كسرت حمى الواجبات وتركت بيتي المانوس انني اخترت طريقًا هو طريق الشقاوة فوجدتهُ وتشامخت على صخور الكبرياء فسقطت الى اعماق اليأس

واما الآن فصارت تميز اشباحًا بعيدة عنها كانت قد عرفتها لانهُ مكتوب عليها باحرف ذهبية تلمع في اشعة القمر على سياج الواجبات التي قد نقضتهُ وهذه هي ,, انتم ايها الاحداث اخضعوا للشيوخ ,, فأسفت والدموع تتساقط على وجنتيها وقالت يا لخسارتي انني ما اردت الخضوع ابدًا ولا تزيّيت مطلقًا بالضعة ولا اطعت مَن

رفعها ابي فوقي بل اهنتها في كل حركاتي وتصرفاتي
واستهزأت بجميع وصاياها المفيدة واغتنمت من طول
اناتها فرصة لعمل الشر وجرحت احشاءها فهل احصل
على روْيتها بعد. آهٍ وهل تريد ان تفتش عني مرة اخرى
وهل تتحرك في قلبها انفعالات الحزن والشفقة على
كولدستا المسكينة التعيسة . لا لانني لا استحق ذلك .
فيا الهي لا تنسني وان اكن نسيتك ونسيت ذاتي والتمس
منك ان لا تهملني كما اهملتُ انا وصاياك ونصائح معلمتي
فالويل لكِ ياكولدستا اذا بقيتِ في حالتكِ فاندبي
تعاستكِ اذا نسيتكِ معلمتكِ ونسيكِ الجميع .
ياصديقاتي المحبوبات اذكرنَ اختكنَّ التي تركتكنَّ
بجهالتها وها هي وحدها ساقطة في وهدة ظلال الموت لا
منقذ لها فمن يزيل عني الكرب ومن يخفف عني الاحزان
التي تعتريني عند ما اتصوركنَّ تتمشين مسرورات مع
معلمتكنَّ وغير مباليات بمن جلبت الويل لذاتها ولستنَّ
انتنَّ فقط لا تبالين بي بل من في السموات ايضًا

ثم صرخت تلك البنت المسكينة في بحر افكارها المضطربة كأنَّ قلبها قد انكسر وقالت ما هذا الصوت المخيف على البعد اليس هو زئير الاسد الذي يجول ملتمساً من يبتلعهُ

اما هي فلم تستطع ان تبارزهُ وما قدرت ان تهرب منهُ لكنها في وسط مخاوفها اخذت تصلي ما لم تُصَلِّهِ قبلاً صلاة ممزوجة بدموع حارَّة واعين ذرَّافة ناشئة عن قلب جريح منسحق . وكانت حينئذٍ السيدة ماري مستلقية على فراشها ومستغرقة في النوم. وكولدستا كانت تحلم احلاماً دالة على كبريائها . واخيراً استيقظت تلك السيدة فجأةً وكانها سمعت صوتاً قائلاً ابنتها الراعية ابن خروفكِ الضال . ثم اغمضت عينيها عازمة ان تنام ثانيةً ولكنها لم تقدر فنهضت وركعت وابتدات تصلي لاجل الابنة الضالة ثم مرَّت بهدو بين فرش البنات النائمات ولما وجدت فراش كولدستا خالياً اجفلت وصرخت انها لقد هربت. وفي تلك الدقيقة شعرت بالم لم تقاسِ نظيرهُ مدة حياتها

فكولدستا قد سُجِنت بالاشواك واحيطت بالاضرار المؤلمة بسقوطها الى تلك الهاوية ومن جرى البكاء فرغ ما تبقّى عندها من القوة القليلة ومن شدة الخوف صار يتخيل لها العليق المتدلية اغصانهُ على حافة الوهدة فوق راسها كانهُ حيوانات هائلة نازلة عليها . فكانت تنتظر كل دقيقة ان ترى اعين الحيوانات المفترسة المتوقدة فانعقد لسانها من الخوف وحينئذٍ سمعت صوتًا عزيزًا ومانوسًا يقول لها يا ولدي وعزيزتي اين انتِ ياوديعتي وكان ذلك من ذات البقعة التي كانت تنتظر ان تسمع منها اصوات الحيوانات المفترسة

فجمعت كولدستا كل قوتها ونادت باسم سيدتها فاجابها صوت مفرّح من فوق

ان تلك السيدة ما بالت بالمشقات والمخاطر التي امامها فانها بمساعدة اغصان العليق تدلّت الى اسفل الصخر العالي الذي سقطت كولدستا من اعلاهُ . فكانت هذه السيدة نظير الراعي الصالح الذي يطلب خروفهُ

الضال ومثل المراة المفتشة عن درهمها الضائع. وعند ما وصلت الى اسفل الهوّة وغمرت كولدستا في ذراعيها كانت اصوات فرحها تقول مثلما قال ابو الابن الشاطر «ان ابني هذا كان ميتًا فعاش وضالًا فوجد»

وتبع تلك السيدة جماعة من البنات اللواتي ايقظنهنّ لمساعدتها على التفتيش عن كولدستا اللواتي اخذنَ طريقهنّ الى اسفل الجبل من جهة اخرى اسلم عاقبة وبدون خطر وان تكن طويلة واما هي فاخذت الطريق الاقرب ذات الخطر ولهذا وصلت قبلهنّ

ثم انهضت الابنة المسكينة وانتشلتها من تلك الوهدة ووضعتها على منكبيها لانها كانت غير قادرة على المشي بسبب الوقوع الذي رضّض جسمها وخلع مفاصلها. ومن جرى الاتعاب والمشقات العقلية والجسدية التي حدثت في تلك الليلة بسبب كولدستا اعترى السيدة حمى شديدة ولحسن الخدمة شُفيت من ذلك المرض بعد وقت قصير. واما الابنة المسكينة فحملت الى يوم موتها سِمات

سقوطها الهائل الذي لن يبرح ذكرهُ من بالها ابدًا . الاَّ ان النتيجة كانت حسنة لها لانها قد تعلمت ان تدهن عينيها بطيب امتحان الذات المزوج بالصلاة ولانها قدرت ان تقول قد كنت عمياء والآن أُبصر . وقد اعتزلت الكبرياء والعناد . وصارت تزداد حلمًا وضعةً ولطفًا ووداعة كل يوم متشبهة بذاك الذي مع انهُ اله كما هو انسان تنازل في صباه ان يخضع لامهِ البشرية

ومن ذاك الوقت صارت فرح معلمتها وصديقتها الامينة التي طالما تعبت وحزنت بسببها . وتلك الصديقة ارتها المكان الوحيد الذي بهِ تجد غفران كل خطاياها الماضية وتحصل على النعمة لمقاومة الخطايا في المستقبل «طوبى للحزانى لانهم يتعزون طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السماء» مت ٥: ٣و٤

الفصل السابع

النور في الظلام

كان في ولاية بونجوب رجل اسمهُ عبد الهادي ذو معرفة وحذاقة طالع كتبًا عديدة في اللغة الهندية والسنسكريتية والعربية وقرأ مؤلفات كثيرة في اللغة الانكليزية

فهذا دخل يومًا الى دكان صائغ يدعى عيسى وجلس بجانبهِ وكان عيسى قد خسر عدة اصدقاء لكونهِ صار مسيحيًا . الاَّ انهُ ما خسر مودَّة عبد الهادي الذي كان غير متعصب لانهُ بواسطة مطالعاتهِ وتاملاتهِ الكثيرة ابتعد عن التعصب فعندما كانوا يلومونهُ لاجل مصادقتهِ لعيسى كان يقول لهم انني لا اعادي رجلاً

بسبب انهُ لا يتعمم بعمامة كعمامتي او بان افكارهُ تنافض افكاري

فماذا تظنون افكار عبد الهادي في امر الديانة. انهُ قد صرَّح بها لعيسى بينما كان جالسًا في دكانهِ بقولهِ انني لا اريد ان اكون مسيحيًّا قط واظن ان كل المسيحيين اردياء الاَّ انت ياعيسى

فقال عيسى ما هي الاسباب التي حملتك على هذا القول ولماذا تظن هكذا

فاجاب عبد الهادي وقال انني طالعت القرآن والشاستراس (كتاب ديني هندي) والفاداس (كتاب ديني هندي) والكتاب المقدس وقابلت تلك الكتب مع اعمال الناس الذين كل طائفة منهم تتخذ كتابًا من هذه الكتب وتجعلهُ قانون ايمانها . فرايت ان المسلم مفروض عليهِ ان يصوم في رمضان فيصوم ومفروض عليهِ ايضًا ان يصلي خمس مرات في اليوم فيصلي. والهندي العاميّ موصًى بان يحترم البراهمة فهو مسعدٌ لان يشرب

الماء الذي يغسل به الرجل البرهمي المقدس رجليه . ويحج مرارًا ويزور الهياكل ويكمّل اغتسالاته ويفضّل الموت جوعًا على الاكل من الاشياء التي يحسبها نجسة . واما المسيحيون فليسوا كذلك

فقال عيسى ان هذا صواب ولكن لماذا تدعو المسيحيين اردا الناس . فاذا كنت لا تراهم يحجون ولا يعينون اوقاتًا طويلة للصوم فذلك لان كتابهم لا يامرهم بهذه الاشياء

قال عبد الهادي باستهزاء ولكن ديانتهم تامرهم باشياء كثيرة لا يفعلونها. فانني قرأتُ كتابهم الذي هو اساس ديانتهم وعرفت ما فيه وكلامهُ حسن جدًّا فهو يقول احبوا بعضكم بعضًا . وارى ان كثيرين من المسيحيين يبغضون بعضهم بعضًا خلافًا لما قيل . وهو يقول ايضًا لا تشتهِ وابن المسيحي غير المولع بالربح . فالمسيحيون يقرأون في كتابهم ان الله صادق ويدعون انفسهم اولادهُ ومع ذلك الذين يتكلمون منهم بالكذب لا يحصى عددهم

فالمسلم يطبع قرآنه. والهندي يسلك بحسب شرائع كتابه. واما المسيحي فيقرا كتابهُ المقدس ولا يعمل بموجبه. وحينما يامرهُ مرشدهُ بان يسلك في الطريق الضيقة يهرول مسرعًا نحو الطريق الرحبة ولذا اكرّر القول ان المسيحيين اردأ جميع البشر

فقال عيسى انك ما اصبت ياصديقي ببعض اوجه فان ليس كل المسيحيين يفعلون بحسب زعمك

فقال عبد الهادي انظر الى الوالي الانكليزي فهو من الذين يظنون انهم سائرون في النور وباقي الناس في الظلمة. وتامل في حالة هذا الحاكم أما قرأ في كتابه المقدس القائل كونوا شفوقين ولطفاء ومع ذلك تراهُ يسخر بابناء هذه البلاد ويطردهم كالكلاب

ومن يكون اشد حبًا للعالم وللمال اكثر من مدبر السكة الحديدية الذي هو انكليزي مسيحي ايضًا. وانظر كم من الجنود الانكليزية المسيحيين الذين يسكرون مع انهُ مكتوب في كتابهم ان السكيرين لا يرثون ملكوت

السماء. فد يانتهم طاهرة ونقية لكنها لا تجد بهم نفعاً للحصول على ميراث السماء حيث لا مناسبة بين تصرفاتهم وبينها لان كتابهم يقول أية شركة للنور مع الظلمة

حينئذٍ اجاب عيسى بامعانٍ وتفكر وقال اذا كانت الاثمار لا تنمو على الصخور فهل ننسب ذلك لنقصان الامطار. او اذا كان المسافر لا يعرّج الى المجرى ليشرب فاذا هلك عطشاً هل يكون ذلك من عدم وجود الماء في النهر . فاقول ايضاً ان ليس جميع المسيحيين مخالفين لنواميس كتابهم فمنهم مَن انفسهم مثل بستانٍ مسقىً جيداً تنمو فيهِ اثمار القداسة والحق والمحبة والطاعة

فقال عبد الهادي ان اولئك الذين عنيتهم قليلون جداً فانني استطيع ان اعدّ على اصابعي كل مَن صادفتهم من هذا النوع . واذا كان العدد الاعظم من المسيحيين اشراراً فما المنفعة من صيرورتي مسيحياً

فتبسم عيسى وقال يا عبد الهادي أما سمعت رواية الملك سليمان وملكة سبا

فقال عبد الهادي لا فارجوك ان تخبرني اياها

فقال عيسى . حكي ان ملكة سبا اتت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان ولتمتحنهُ بمسائل . فاحضرت معها ازهارًا مصنوعة وازهارًا طبيعية لها لون وشكل واحد حتى لا يستطيع احدٌ ان يميز الاختلاف بينهما بدون ان يلمسهما . فقدمت الى سليمان مقدارًا من الشكلين معًا وقالت لتفصل حكمتك بين هذين النوعين بدون ان تدنو منهما واخبرني اية هي الازهار التي سُقيَت بندى السماء واية هي التي لم تسقَ وماهي ذات الحياة والتي لا حياة لها

فقال عبد الهادي وماذا عمل سليمان

قال عيسى . انهُ امر بفتح جميع الابواب حتى يدخل النحل والحشرات الى الازهار وكان كذلك فاستقر النحل والهوام على الازهار ذات الحياة التي تحوَّل فيها ندى السماء الى عسلٍ

فقال سليمان انظري ايتها الملكة حيث الحياة

فهناك الحلاوة ايضًا . فهناك عدة ازهارٍ معًا فالبعض حقيقي والبعض غير حقيقي ولكننا بالامتحان نفصل بينهما

وهكذا يا عبد الهادي كثيرون يدعون مسيحيين وليسوا كذلك لان ليس في ايمانهم حياة ولا يملكون من المسيحية شيئًا الّا الاسم . فهل كان سليمان حكيمًا لو قال بدون تروٍّ ان كل تلك الازهار ليست حقيقية لا بل وضع ذلك تحت حكم البرهان . فان كنت انت تذم جميع المسيحيين فلست حكيمًا نظير سليمان ولا مميزًا مثل النحلة. وكيفما كان تصرُّف الذين يدعون مسيحيين فانت تقرّ بان دياناتهم مقدسة وكتابهم طاهر وان يكن المسيحيون ناقصين فالمسيح نفسهُ كاملٌ وبلا عيب

فقال عبد الهادي يُنتظر من التلميذ ان يكون كمعلمهِ . فسماء المسيحي ممكنة الوجود وكذلك كل ما يصرّح بهِ الكتاب المقدس ولكن الطريق الى تلك السماء مظلمٌ امامي حتى بعد مطالعتي وتفتيشي وتاملاتي اقرّ

باني لا اقدر ان اجدها ولهذا لا اكون مسيحيًا ابدًا

ولما راى عيسى المسيحي ان لا فائدة من المناظرة مع رجل لا يقتنع انقطع عن الحديث معهُ وللحال تغلب النعاس على عبد الهادي فسقط نائمًا ولكنهُ لم يمضِ وقت طويل حتى استيقظ لصوت انسان كان يتكلم عند باب الدكان ولكنهُ ما تحرك ولا فتح عينيهِ بل بقي متظاهرًا بانهُ نائم واصغى بدون انتباه الى البحث الذي كان جاريًا بين عيسى ورجل غريب محمدي المذهب يدعى كرمًا وسبب ذلك انهُ كان في الدكان سيف مجوهر المقبض كان عيسى قد اشتراهُ منذ مدة قصيرةٍ من امير افغاني جذب عيني كرم للالتفات اليهِ وهو مارٌّ في الزقاق فتعلق بهِ قلبهُ وتناولهُ بيدهِ واخذ يمتحن النصل ويتامل في جوهر ذلك المقبض . وقبل ذلك الوقت بنصف ساعة كان عبد الهادي يلاحظ ذلك السيف ويعجب بهِ فسالهُ كرم عن ثمن السيف وكان راغبًا جدًّا في الحصول عليهِ فقال لهُ عيسى ان ثمنهُ ثلاثون ريالًا

فقال عبد الهادي عندما سمع ذلك انني ظننتُ انهُ يطلب فيهِ ستين او سبعين ريالاً على الاقل وبالحقيقة ان جواهر مقبضهِ تستحق اكثر من ثلاثين ريالاً كثيرًا

اما كَرَم فلم يُظهر الفرح الذي شعر بهِ عند سماعهِ بفرط رخص الثمن الذي لم ينتظرهُ فاعاد نظرهُ ثانيةً وابتدأ يمتحن النصل بتدقيق ويتامل في المقبض بكل انتباه وقال هل كل هولاء الجواهر حقيقية

فقال عيسى كلها حقيقية ما عدا هذه الياقوتة الزرقاء في الوسط وهي وان تكن ليست حقيقية جميلة للغاية حتى انا ذاتي في اوّل الامر كنتُ مغشوشًا بها ولو كانت حقيقية لطلبتُ منك فيهِ ضعفَي ما طلبتهُ

فقال كرم اعطيك فيهِ عشرين ريالاً وكان داب هذا الرجل ان يجتهد ببخس ثمن كل شيء يريد ان يشتريهُ

فقال عيسى بهدو لا ارضى هذا فانني لا اطلب الاّ ثمنًا واحدًا في امتعتي وذلك باعتدال حسب القيمة

ولو انك اتيتني قبل هذا الوقت بسنة لكنت طلبت منك مضاعف ما طلبتهُ الآن وكنت اقسمت لك قسمًا عظيمًا ان كل جوهرة في هذا المقبض حقيقية

فقال كَرَم وهو متعجب جدًّا ولماذا لا تفعل هكذا الآن

فقال عيسى بروح البساطة لاني مسيحي الآن

فتبسم كرم تبسم استهزاء واخرج الدراهم وعدَّ لهُ ثلاثين ربا لاَّ ثمن السيف وبينما هو يقبّضهُ المال سمعهُ عبد الهادي يناجي نفسهُ ويقول ان هذا المسيحي جاهل غبيٌّ لان لا احد الاَّ الجاهل يقول ان هذا الحجر الكريم كاذب واي انسان الاَّ الاحمق يطلب بامتعتهِ من رجل غريب قدر ما تستحق تمامًا انما العادة ان يطلب الكثير ليحصل على القليل

وهذا كان ايضًا بخلاف افكار عبد الهادي المتنوّر العقل الذي لما شاهد ذلك قال في قلبهِ لو كانت لكل الناس قناعة وصدق كما لهذا الانسان لكانت ارضنا

سعيدة لان جهالة مثل هذه افضل من حكمة العالم

وحالما خرج كرم الذي اشترى السيف من الدكان دخل رجل مسيحي اسمهُ يوحنا وابتدا يحيي عيسى بتحيات الحب والمودة وكل هذا جرى وعبد الهادي لم يزل مضطجعًا ولكنهُ كان منتبهًا لما حدث . فقال عيسى ليوحنا انك بدون شك آتٍ الآن لطلب المرتب الشهري لاجل الكنيسة واسعاف الفقراء

فقال نعم يا اخي انني جائلٌ بين المسيحيين لهذا القصد عينهِ ولكنني الى الآن ما جمعت الاَّ القليل وان نفقة الكنيسة قليلة وعندنا مرضى وارامل محتاجون الى المساعدة اكثر من العادة

ففتح عبد الهادي عينيهِ ورأى صديقهُ عيسى ماسكًا بيدهِ اربعة ريالات واعطى يوحنا اياها بسرور فلاحظ يوحنا غرابة هذا الصنيع وقال انك لقد تصدقت اكثر من اصحاب الوظائف والاغنياء وانا اعلم انك لست غنيًا فكيف لانجد كيسك فارغًا ابدًا كلما طلبنا منك

تقدمات لله

فقال عيسى بسرور قلب انني رجل مسيحي واحب ان اطيع كلما هو مكتوب في كتاب الهي الذي يامرني بقوله «في اوّل الاسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازنًا ما تيسّر ١ كو ١٦ : ٢» واحسب على الاقل ان عشر ربح تجارتي خاصة الرب وليست لي وبناء على ذلك يكون دائمًا تحت يدي شيء للعطاء ولما اعطي ذلك الشيء لا اعتدُّ به

فقال يوحنا بحرارة قبل ان ذهب الله يقبل عطيتك ويباركك وكان هذا الرجل معلم اصول الديانة . فقال عبد الهادي في قلبه لوانّ جميع الناس يظهرون تقوى واحسانًا مثل تقوى هذا الرجل واحسانه لكانت هذه الارض سعيدة فان فقر مثله احسن من غنى العالم

ثم اتى آخر الى الدكان اسمهُ باردومان وكان من خَدَم انسانٍ ذي رتبةٍ سامية في الحكومة معهُ قلادة

للتصليح لانهُ سقط فيها بعض الحجارة الكريمة الثمينة من اماكنها فارى عيسى اياها وقال لهُ هل تقدران تصلحها لمولاتي امرأة الحاكم

وبما ان عيسى كان ماهرًا جدًّا في مهنتهِ اجاب بالايجاب وهو مسرور القلب لان هذه هي المرة الاولى التي بها عُرِض على الصائغ المسيحي المسكين عمل ما يختص بذلك الحاكم وبان لهُ انَّ الله كانهُ ارسل السعد الى بيتهِ بهذه الواسطة

فقال باردومان وانما ينبغي ان ترجع لها القلادة نهار الاثنين لانها عزمت ان تذهب في تلك الليلة الى وليمةٍ جامعة

فقال عيسى بعدما تامل بالتدقيق في تلك القلادة المكسرة وفي ما يلزم لها من الوقت انني لا اقدر ان اكمل اصلاحها في الوقت المعيَّن وقبل هذا الوقت بمدة وجيزة كان يعطي وعدًا ان تم وعدهُ ام لا واما الآن فلانهُ خادم اله الحق يفضّل اي خسارة كانت على نقض

مواعيده

فقال باردومان ان لك نهار غدٍ بطوله لتشتغل فيها فكيف تقول انك لا تستطيع ان تكملها نهار الاثنين واما مك يومان للعمل

فقال عيسى ان غدًا نهار احد وذلك مخصص بالعبادة ولا احب ان اعمل فيهِ عملًا ما وقد امتنعتُ عن العمل في ذلك اليوم مذ صرت مسيحيًا

حينئذٍ اشتعل باردومان غضبًا واخذ القلادة بعنفٍ وقال بضحك الاستهزاء ان سيديَّ الحاكم والحاكمة هما مسيحيان ويعملان اعمالهما ويتمان سرورهما في يوم الاحد وانت يا بومة يا ابن بومة تعتزل الاعمال فيهِ كانك احكم منهما واقدس

فقال فليفعل الغير ما ارادوا واما انا فعليَّ ان اطيع ما هو في كتابي الديني القائل ،، اذكر يوم السبت لتقدسهُ ،،

حينئذٍ باردومان الذي كره كل المسيحيين ولا سيما

المسيحيون بالحق اخذ يشتمهُ اقبح الشتائم وقذف من شفتيهِ كل كلمة قاسية وردية خطرت في بالهِ فكانت كلماتهُ كسمٍّ نافثٍ من فم افعى. فراقب ذلك عبد الهادي وهو لم يزل مضطجعًا في القرنة المعتمة ينظر كيف يحتمل صديقهُ تلك التجربة التي كانت محيطة بهِ . وقال في نفسهِ ان عيسى حادّ الطبع وهو ذو قوة وجسارة فسوف يردّ على كلمات ذلك الدنس الشفتين الدني بما هو امرّ من الكلام . وقد نظر ان دم الغيظ كان جاريًا في وجه عيسى وانتظر ان يعقب ذلك ايقاد نيران الوغى . ولكن خادم الله الذي هو عيسى حفظ لسانهُ من الخلل وما فاه بكلمة رديئة ردًّا على الكلام القبيح الذي سمعهُ بل قال فقط عندما كان عدوهُ فاغرًا فاهُ بالشتائم وشرع يذهب انهُ من وفور حظك يا بارد ومان كوني مسيحيًّا

فقال عبد الهادي وما هذا التغيير الغريب في عيسى فاني اعرفهُ في الايام الماضية انهُ كان يطرح الرجل الى الارض لاجل اقل من هذا وبالحقيقة ليس

الجبانة هي التي جعلته الآن يتحمّل مثل هذا بصبر . فلو كان لكل الناس ثبات عيسى وصبرهُ لكانت هذه الارض ذات سعادة بالحقيقة فاحتمال من كهذا المسيحي وطول اناتهِ تظهر شجاعة حقيقية اكثر من بسالة اجسر الابطال

وما كان لعبد الهادي سوى وقتٍ قصير للافتكار في هذا لانهُ ما بعد باردومان عن الدكان الاَّ قليلاً حتى علت اصوات الصراخ المخيفة في الشارع القريب من الدكان . وهوان ثلاثة من اللصوص عرفوا ان مع باردومان قلادة جزيلة الثمن فراقبوهُ وكمنوا لهُ في القرب من الدكان وسمعوا كل ما جرى واندفق من الشتائم من فمهِ على المسيحي وبينما كانت الشتائم واللعنات لم تزل على شفتيهِ هجموا عليهِ وطرحوهُ الى الارض بغتة ولما راى نفسهُ على هذه الحال تحركت فيهِ النخوة والقوة وقام على قدميهِ وصاح بصوت الاستغاثة والمساعدة ولكن اللصوص الثلاثة كانوا اقوى منهُ فطرحوهُ الى

الارض مرة ثانية مخضباً بدمهِ ولولا حميَّة عيسى ونخوتهُ واسراعهُ لمساعدة عدوهِ وانقاذهُ حين سمع الصوت لكان لسانهُ النافث اللعنات انعقد الى الابد . فان ذلك الصائغ المسيحي عندما علا الصراخ تناول عصاهُ واسرع اليهم فلما رآهُ اللصوص مقبلاً عليهم وبيدهِ آلة الموت تركوا الجواهر وهربوا . فتقدم عيسى نحو شاتمهِ الملقى على الارض وضمد جراحاتهِ واظهر لهُ من اللطف والحنو ما لا مزيد عليهِ كما لو كان اخًا عزيزًا لهُ ومع كل هذا بقي ذلك الهندي الردي رافضًا هذه العناية فانهُ عندما قدم لهُ المسيحي الماء ليشرب ابى ان يقبلها من يدهِ وظن انَّ نفسهُ تتنجس عند ما تمسّ شفتيهِ كاس المسيحي

فافتكر عبد الهادي بعد ان شاهد كل هذه الاشياء وقال في نفسهِ لو ان جميع الناس كرماء الاخلاق وغافرون نظير هذا المسيحي لكانت ارضنا هذه مغبوطة. فان ذاك الهندي المتعصب الذي خاف ان يتدنس

بملامسة عيسى لو لم يعمهِ الضلال لكان عرف جليًّا ان لازمرة اسمى من زمرة اولاد الله واطهر

ثم ترك باردومان المشار اليهِ القلادة لعيسى ليصلحها ولعل ذلك كان اما من شعورهِ بالشكر نحو منقذهِ او لانهُ يخاف من حدوث بليَّة اخرى بسبب حملهِ تلك القلادة وسلبها منهُ على الطريق . فرجع بعد ئذٍ مرضَّض الجسم دامي الوجه وعزم على انهُ لا يشتم بعد رجلاً لكونهِ مسيحيًّا ولا يحتقر احدًا لطاعتهِ ناموس الهوى

اما عبد الهادي فكان قد نهض من مضجعهِ عند ما قام الصراخ الاول في الزقاق لكنهُ ما خرج للمساعدة نظير عيسى ثم تقدم نحو عيسى وامارات التفكر تلوح على وجههِ وقال لهُ ياصديقي أما قلت لك من مضي ساعة ان طريق السماء ضيقة ومظلمة وانني بكل تفتيشي ومطالعتي لست قادرًا على ايجادها . لكني مذ دخلت دكانك اخذت تظهر لي

فقال المسيحي ماذا تعني بهذا ياصديقي

قال عبد الهادي انهُ قد اتضح لديَّ الفرق بين الازهار الطبيعية الحيَّة التي نمت من مياه المطر وبين الاصطناعية الفاقدة الحياة . وقد نظرت ان كل ما هو مكتوب في كتابك حق وان اكن في اول الامر ما قدرت على ادراك معنى سرّ هذه الكلمات «انًا ان كان احد في المسيح فهو خليقة جديدة ٢ كو ٥ : ١٧» انني قد ابصرت الجنينة ذات المياه الصافية التي بها تنمو اثمار الامانة والصدق والتقوى والطاعة والحلم والغفران والمحبة

فقال عيسى يا اخي انني بذاتي ضعيف وخاطئ ومدنّس ولا واسطة لي للنجاة من الهلاك الابدي سوى موت يسوع المسيح ربي وحلول روحهِ القدوس الذي يربي فيَّ الافكار الصالحة ويقدّرني على عمل كلما هو مستقيم امامهُ

فقال عبد الهادي . ان المسيحي بفدائهِ يحب وفي محبتهِ يطيع وفي اطاعتهِ يمجد الله . وان قدوتك يا عيسى

اكسبتني افادة لم اتعلمها من كلامك فانها اقنعتني بان الديانة التي تنشئ تاثيرات كهذه انما هي الحقيقية وجعلتني ان اعزم على ان اصير مسيحيًا ايضًا

فحياة كل خادم حقيقي للمسيح المخلص القدوس انما هي كمنارة ترشد الاخرين في طريقهم وذلك وفقًا لقول الرب «هكذا فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي في السموات» مت ٥: ١٦

الفصل الثامن

مثَل الورقة

جلس ثلاثة رجال يتحدثون مساء اسم الاول للأرام والثاني هيوكام والثالث لاجبوت. فللأرام كان مستوطنًا قرية وساكنًا في كوخ ترابي . وهيوكام كان مثواهُ دكان صغيرة في شارع من مدينة لاهور. واما لاجبوت فما كان لهُ موضع مقرر لاقامتهِ الاَّ انهُ كان ذا فطنة وحذاقة فانهُ سافر كثيرًا وراى كثيرًا وافتكر كثيرًا فكانت جميع كلماتهِ ممزوجة بالحكمة

فالشخص الاول الذي افتتح الحديث هو للأرام الذي كان جائلاً في بالهِ اخبارٌ قد سمعها في ذلك النهار وهي . ان ابنة يتيمة وضعها احد اصدقائهِ في مدرسة وهذا

الامر كان سبب غمٍّ عظيم للأرام المذكور. فقال انهُ امرٌ فظيع وشرٌّ عظيم اقامة المدارس للبنات وامتدادها في ارضنا. فما اجهل من يزرع الحبوب على سطح بركة ماء ومَن يعلّم البقرة الكتابة. فهل للنعجة قوة على تحصيل المعرفة. فالمراة مخلوقة للمشقة وحمل الاثقال ومولودة للعمل في الحقول وطحن الحبوب. فالكتاب في يد بنتٍ كالقرط في اذن الحمارة

حينئذٍ تكلم هيوكام وكان لهُ زوجة مخدَّرة لا يراها احد غيرهُ لانها لا تخرج من الخباء وقال وانا ايضًا اودّ تسكير كل مدارس البنات ولا ارى حسنًا ان تشتغل النساء فلتكن زوجاتنا وبناتنا في الخباء واذا اردنَ التسلية يحصلنَ عليها في تزيين ذواتهنّ بالحلى والجواهر. فالنساء لهنّ السرعة الكافية والحذاقة في تعليم انفسهنّ بدون ان يسننّ قوة الدهاء والمكر بواسطة الكتب. فوضع المعرفة في ذهن المراة مثل وضع السيف في يد الاحمق. فسعادة المراة غباوتها وامنها خباؤها

فاجاب لاجبوث وقال ياصديقيَّ اما سمعتما قصة راتجا (اي الملك العظيم) والصفحات الثلاث . فقالا لم نسمعها قط فقصها علينا ان كنت تشاء

فقال ان راتجا العظيم دعا ثلاثة من خدَمهِ واعطى كل واحد صفحة ورقٍ جميلة بيضاء نقية خالية من كل درن وعند ماسلمهم ذلك ما امرهم بسوى ان يستعملوها بالحكمة ولكنهُ قال في قلبهِ انني سوف احاكم كل واحدٍ بمقدار حكمتهِ في استعمالهِ عطيتي هذه فالذي يظهر اكثر حكمة بذلك سينال موضعًا عاليًا بين اهل بيتي

وبعد مضي زمن طويل دعا الملك الخدَم الثلاثة ولما مُثّلوا بحضرتهِ قال الاول ماذا عملت بالوديعة التي قد سلمتك اياها واين وضعت تلك الورقة البيضاء النقية فاحضرها لي الآن لانني اريد ان اراها

فاجاب الخادم وقال ياصاحب السعادة انني قد وضعت فيها بزرًا وحملتها الى الحقل فسقطت مني على الارض وابتلّت بالمياه فزالت بهجتها وانتزع جمال بياضها

النقي وداس عليها ثورى برجلهِ فطمرها في الارض ولذلك لا تليق ان توضع عند موطأ قدميك

ثم التفت الى الخادم الثاني وقال وانت ماذا فعلت في ود يعتك وابن هي فاتيني بها الآن لانظرها ايضاً

فقال يا مولاي انني ما استعملتها قط بل لفيتها ووضعتها على رفٍّ في مكان محفوظ في القسم الداخلي من البيت حيث لا يقدر ان يراها احدٌ ولكن مع ذلك بقّعتها الرطوبة ووسختها وخططها النمل بمشيهِ عليها حتى انها ليست اهلاً بعد لان تكشَف لدى عيني جلالك

ثم نظر الى الثالث وقال وانت ماذا صنعت بتلك الورقة البيضاء النقية التي اعطيتك اياها

فسجد الخادم على الارض واخرج درجاً وبسطهُ بين يدي سيدهِ العظيم فراى عليهِ كتابةً باحرف قرمزية وزرقاء وذهبية حتى كان ذلك الدرج حريًّا بان تتزين بهِ قصور الملوك وهذا هو معنى تلك الكتابة «« امراة فاضلة من يجدها لان ثمنها يفوق اللآلئ بها يثق قلب

زوجها تصنع لهُ خيرًا لا شرًّا كل ايام حياتها ام ٣١ : ١٠ ،،

فقال لهُ سيدهُ نعمًا ايها العبد الامين والحكيم انك انت وحدك قد عملت عملًا حسنًا بعطيتي وانت وحدك عرفت قيمتها فلهذا ستحصد وحدك جزاء الغني . وهذه الورقة التي بواسطة اجتهادك واعتنائك قد حُفظت على بهجتها سيجعل لها اطارٌ من الذهب وتُعلَّق في اشرف مكان في قصري

ثم قال لهما لاجبوت النطن هل فهمتما معنى هذه القصة

ان صفحات الورق البيضاء النقية هي عقول بناتكم الاحداث والذي قد سلمهنَّ لاعتنائكم هو الملك القدير الديَّان الذي سوف يحاسبكم حسابًا مدققًا . فالغباوة هي نظير دوس الثور في الحقل على الورقة او نظير العفن الذي ينزع جمال الدرج على الرف فاسمعا ماذا قيل ،، كون النفس بلا معرفة ليس حسنًا ام ١٩ : ٢ ،، انما الاب السعيد الامين الحكيم هو الذي يرسم على عقول

بناتهِ الصغار امثلة العفة والتقوى والحكمة والصدق وهذه التعاليم ستضيءُ على تلك العقول كانها مكتوبة باحرف ذهبية . فالتي تتعلم ان تخدم وتطيع الملك العظيم في صبائها ستجد مكانًا شريفًا في السماء معدًّا لمحبيهِ وحافظي وصاياهُ

الفصل التاسع

اللغة القديمة على الارض

حكي ان ثلاثة رجال طاعنين في السن يهوديًا ومسلمًا وبرهميًا جلسوا قربَ بئرٍ يبحثون عمَّا هي اللغة الاولى التي كان يتكلم بها الناس على الارض . فاشتد الجدال وارتفعت الاصوات حتى امتدت الى بقعة حيث كان شاب انكليزي يتصيد فلما سمع الصوت وقف مستندًا على ساق شجرة واصغى الى تلك المباحثة

فالمسلم جزم باقسامٍ عديدة واشارات يدين تدل على حدة روحهِ ان لا لغة في العالم مثل العربية. اوليست هي اللغة التي قد أُنزل بها القرآن الشريف على النبي محمد صلى الله عليهِ وسلَّم أَوما هي التي بها اعطى الله العلي

المؤمنين الشرائع . فهل تريدون ياغير المؤمنين ان تهينوا النبيّ بتشكيكم ان اللغة العربية هي الاقدم على الارض

فهزّ اليهوديّ راسهُ المبيض بالشيب وقطّب عند سماعهِ ذلك وشرع يقول ان اللغة التي تكلم بها اباؤُنا ابرهيم واسحق ويعقوب (عليهم السلام) لابد انها اشرف من سائر الالسنة ومن المحقق انها سُمعت في الفردوس قبلما قطفت حوّا الثمرة المنهي عنها . فاللغة الاقدم والاقدس كما هو مسلّم هي العبرانية

ثم تكلّم البرهميّ باحتقارٍ وقال ان المشابهة بين اللغة السنسكريتية وبقية اللغات هي كالمشابهة بين الحلفاء وشجر البنيان (اي التين الهندي) الممتد الاغصان . وكما ان البنيان تتدلى منهُ فروع على الارض وتلك الفروع تصير اشجارًا هكذا بقية اللغات اشتقت من السنسكريتية الحيّة . فالذي يشك في ان اللغة السنسكريتية ليست هي الاقدم فما هو الاّ غبي فاقد الحكمة

وهكذا اتسعت المباحثة وامتدت الى الغيظ حتى كاد الامر يفضي بهم الى الضرب . فاقترب منهم الفتى الانكليزي وقال ايها الرجال الموقرون انا صغير في الايام وانتم شيوخ ومع ذلك اسمحوا لي لاقضي فيما بينكم لانني اعرف اية هي اللغة الاقدم والاشرف التي تُكلِّم بها على الارض

فقال المسلم بتعجب أأنت تعرف ذلك وهل تريد ان تعلّم شيوخًا نظيرنا وانت لست الاّ ابن امس . ثم قال في قلبه ان الاوروبيين يظنون انهم يعرفون كل شيء فاذا كانوا يقدرون ان يعملوا الطرقات والجسور ويرسلوا الاخبار على الاسلاك البرقية فهل يستطيعون ان يبينوا اللغات القديمة لبراهمة علماء نظيرنا

فاجاب الشاب الانكليزي وقال ان اللغة التي اريد ان اخبركم بها ليست هي الاولى التي تكلم بها الناس على الارض فقط بل هي التي يتكلم بها الآن في السماء

فدهش الرجال الثلاثة حين سمعوا ذلك التجاسر

الغريب الذي ابداهُ هذا الشاب الازرق العينين

ثم قال الفتى ومع ذلك لا يمكن احدًا من كل القبائل ان يدخل السماء بدون ان يتعلم تلك اللغة

فقال المسلم بنهكم هل تعرف حضرتك هذه اللغة الشاب . نعم اعرفها والحمد لله

فقال اليهودي وهو لم يصدق ما قيل . وابن تعلمتها اولاً

فقال الفتى بصوت لطيف . انني تعلمتها اولاً من شفتي امي

فنظر كل واحد من الشيوخ الى الآخر بتعجب . وحينئذٍ سالهُ البرهمي ما هي تلك اللغة ياصاحب

فقال الفتى . هي لغة الحق . ولما قال هذا جليت غيوم الضلال عن اوجه الرجال الثلثة ثم صرخوا بلسان واحد قائلين ان هذا القول صادق . فالحق هو لغة الله والحق هو لغة السماء ايضًا

فقال الشاب . ولكن يجب ان تعلَّم على الارض .

فانني قبلما اتيت هذه البلاد بذلت جهدي في تعلم اللغة الهندية ولو لم اعرفها ما قدرت ان ابقى في رتبتي هذه الشريفة. وهكذا من لا يعرف لغة الحق التي هي لغة السماء لا يقدر ان يكون في السماء لان الله هو الحق نفسهُ والكذب مكروهٌ لديهِ لانهُ مكتوب في كتابهِ تعالى «كراهة الرب شفتا كذب ام ١٢: ٢٢»

فنظر الشيوخ الثلاثة بعضهم بعضًا لانهُ لم يكن احد منهم لم يستعمل الكذب لغايةٍ من الغايات ولا سيما الارباح قليلة كانت ام كثيرة فكان الكذب شائعًا بينهم بكثرة نظير البرغش الذي كان يحوم فوق رؤوسهم وبطنٌ حولهم . وما خطر ببال احدٍ منهم ان الكذب خطية مميتة ورذالة امام الله

فقال المسلم باي سلطان يصرّح هذا الفتى بقولهِ ان باب السماء مُغلَقٌ امام الذين لا يتكلمون بلغة الحق والاستقامة

فقال الفتى قلت ذلك بسلطان كلمة الله المقدسة

التي لا يمكن نقضها . فاسمعوا ايها الاصحاب ما اعلنهُ الله الذي لا يمكن ان ينطق بغير الحق ما يتعلق بمسكن المباركين في السماء وهو قولهُ تعالى «ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجسًا وكذبًا رؤ ٢١ : ١٧»

فقال اليهودي باستهزاء اذن السماء خالية من السكان كل الخلو وان قد يسك بطرس المحبوب لا بد من ان باب السماء مغلق دونهُ لانهُ بموجب انجيلك كذب ثلاث مرات بحلف ولعنات والاَّ فخطيتهُ وحدها تكون بدون قصاص

فاجاب الشاب بحدَّة ان بطرس نقاصٌ لاجل خطيتهِ فان الرب الذي انكرهُ بطرس واخطأ اليهِ هو الذي حمل خطية بطرس لان الدم الذي خرج من جنبهِ المجروح يطهّر من كل خطية كانت بالقول او بالفعل او بالفكر وخطية الكذب من الجملة . فالذين يرغبون ان يكونوا مسامحين نظير بطرس ينبغي ان يكونوا مثلهُ في الايمان والمحبة وحينما يدخل روح الله الى القلب يطرد منهُ

كل شر فغير المستقيم يصير مستقيمًا والمتكبر متواضعًا
والجافي لطيفًا والشفاه الكاذبة تتعلم لغة السماء لغة الحق
والصدق وجميع الكذبة يكون نصيبهم فى البحيرة المتقدة
بالنار والكبريت

الفصل العاشر

الوصايا العشر

الوصية الاولى

الجسر المنهدم

كان شيخٌ اسمهُ عباس مولعًا بمطالعة الكتاب المقدس وكان لهُ ابن ابن اسمهُ حسين . فهذا سالهُ مرة وقال يا جدي مالي اراك مواظبًا على قراءة الانجيل . فاجابهُ عباس قائلاً انني اقرأهُ لأُرشَد الى طريق السماء فقال حسين مبتسمًا ان الطريق واضحة للغاية وهي ان الانسان يعبد الاله الحقيقي ويحفظ وصاياهُ

فقال الشيخ باولدي ان الوصايا كجسر مركب من عشر قناطر يمكن النفس بواسطتهِ ان تعبر نهر غضب الله الذي لا بد من عبورهِ قبل الوصول الى السماء. وانما هذا الجسر قد هُدِم ولا يوجد احد من البشر لم يتعدَّ هذه الوصايا مرات لا تحصى

فقال حسين بافتخار ان ضميري نقي وقد حفظت جميع الوصايا (ولما قال هذا نخسهُ ضميرهُ لانهُ قال كذبًا) ثم عاد فقال وان لم اكن حفظت الكل فعلى الاقل الاكثر لانهُ على كلٍّ لا يسلم الانسان من العثرات

فتفرَّس الشيخ فيهِ برهةً وقال اذا هُدِمت قنطرة واحدة من جسر تحت رجلي المسافر أفلا يسقط ويغرق مع ان التسع الأُخر لم تزل قائمة واما انت يا ابني فقد هُدِم عدة قناطر من جسرك وبالاحرى القنطرة الاولى التي خربت بالكلية

فقال حسين من المستحيل ان يُعنى بهذا الوصية الاولى التي هي «لا يكن لك الهة اخرى امامي» لان هذه لم

انتضها قط. ثم قال بغيرة حارّة لا اله الاّ الله ولا اعبد الاّ اياهُ وحدهُ الصمد القادر على كل شيء غير المنظور الرحمن الرحيم . وعلى كلٍّ ان هذه القنطرة الاولى من جسري لم يعترها ادنى خلل

فقال الشيخ اليس ان الذي نحبهُ فوق كل شيء ونكرمهُ على كل شيء ونطيعهُ في كل شيء هو المتسلط على قلوبنا والمعبود في هياكل اجسادنا

فقال حسين لا ريب ان ذلك هو الهنا

حينئذٍ قام الشيخ من مكانهِ وقال يا ابني تعال معي وانا اريك في قلبك . فدُهش حسين وقال ان لا احدًا من البشر يقدر ان يريني من اسجد لهُ واعبدهُ لان الله لم يرهُ احد قط فهو الذي لهُ اسجد واياهُ وحدهُ اعبد فكيف تقول لي تعال فاريك معبودك

اما الشيخ فبكل حلم قال ايضًا تعال وانظر ثم اخذهُ بيدهِ الى بركة ذات مياهٍ رائقة حتى انهُ كان يرى فيها اشباح الاشجار والابنية التي حولها والغمام الذي فوقها

كانها مرآة تعكس كل شيء واقع عليها ولما وصلا الى حافة البركة التفت الشيخ وقال انظر هذا الماء الرائق فانك ترى فيهِ مَن تفضّل محبتهُ على الجميع وتكرمهُ على كل الكائنات وتفعل مشيئتهُ في كل شيء وتخضع لارادتهِ فيا ابني أما هو هذا الذي قد استولى في قلبك على مكان الاله الواحد الحقيقي

فنظر حسين صورتهُ في الماء . فقال لهُ الشيخ لمَن هذه الصورة التي انت تراها فقال هذه صورتي قال لهُ الشيخ هذا الذي كنتُ اعني انك تفضّل محبتهُ على كل شيء ومَن يحب ذاتهُ اكثر من الله فهو لا محالة متعدٍ الوصية الاولى لانهُ مكتوب وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قوتك هذه هي الوصية الاولى "" فهذه القنطرة قد هُدِمت من جسرك فلا يمكنك بعد ان تمرَّ عليها الى السماء

فاجاب بغير احتشام وهل يمكنك انت ان تمرَّ قال هذا لانهُ قد افتكر في انَّ جدهُ قد اعتراهُ الخرف

ولأنهُ لم يرَ شيئًا غير اعتيادي في ذلك المنظر

فقال الشيخ بلطف كلاَّ يا بنيَّ فانني منذ زمنٍ طويل رايت ذاتي خاطئًا ومتعديًا ليس هذه الوصية فقط بل جميع الوصايا ايضًا ولا يوجد سوى انسانٍ واحد فقط وهو قدوس الله الذي جسر طاعتهِ كان كاملاً لا عيب فيهِ

فقال حسين فان كان ذلك كذلك فكيف ترجى نوال الوصول الى السماء وهل يستطيع احد ان ينجو من نهر غضب الله

فقال عباس بمحبةٍ انني اتمسك بذاك الذي طرح ذاتهُ كجسر فوق نهر غضب الله وصيَّر نفسهُ الطريق والحق والحياة الذي هو وحدهُ القادر ان يحمل كل الذين يؤمنون بهِ ويعبر بهم الى شاطىء السلام

فياحسين انك لقد نظرت الى اسفل ورايت صورة شخصك الخاطىء والآن انظر الى فوق فترى يسوع المسيح البار الذي لا عيب فيهِ القادر ان يخلصك من

الخطية ومحبة الذات . وان رجائي بالدخول الى السماء ثابت لانهُ مؤسس على كلامهِ المقدس القائل «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بهِ بل تكون لهُ الحياة الابدية

الوصية الثانية

الكوخ الملتهب

وقف رجلٌ اسمهُ عبد الغني البرهمي يومًا في كوخهِ القشي محدقًا نظرهُ الى صنم كريشنا الاله المظلم الذي كان يعبدهُ هو واجدادهُ منذ اجيال عديدة . فقال لهُ ابنهُ الصغير الذي كان مفلوجًا منذ ولادتهِ يا ابي انهُ قد حان وقت السجود ولماذا لا تحني ركبتيك امام كريشنا فاجابهُ ابوهُ قائلاً يا بنيَّ انني كنت في السوق ورايت رجلاً يعظ فوقفت للاستماع وكلامهُ قد اتعب نفسي

حيث قال انهُ من مضي الوف من السنين قد نزل الله القدير على جبل في نار ودخان ومن وسط النار والدخان نطق بصوتهِ المخيف بهذه الوصية "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنَّ" وكنت اود ان اذري التراب على ذلك الواعظ لكنَّ كلامهُ انطبع على قلبي وبلغ اعماق نفسي فما ذاك الاَّ لانهُ كان يتكلم كواحدٍ يعرف حقيقة ما يتكلم بهِ

فقال الصبي هل كان ذلك الاله العظيم الذي اخبر عنهُ هو اله المسيحيين قال هذا لانهُ كان عرف قبلاً بعض اشياء من ديانتهم . فاجابهُ ابوهُ قائلاً هو هو ذاتهُ ياولدي وقد قال ذلك الواعظ ان الناس في بلاد الانكليز كانوا في الزمان القديم يسجدون للاوثان ويعبدون عمل ايديهم وحينئذٍ كانوا ضعفاء وقليلي العدد ولكن تلك الامَّة منذ زمن طويل ابطلت عبادة الاوثان .

والان يقرأون كتابهم المقدس ويصلون الى الرب يسوع ولذلك تراهم اقوياء والبركات مستقرة على ارضهم

فقال الولد وهو ملتفت بارتعاد الى التمثال المنحوت باابي أما تخاف من غضب كريشنا عند ما يسمعك تتكلم بمثل هذا

فذاك الاب لم يجب بشيء بل حوّل وجههُ وخرج من الكوخ وربما كان يجول في بالهِ هذا الفكر وهو هل لكريشنا قوة على ان يسمعني

وبعد ما خرج الاب بقي الابن ملقًى على حصيرتهِ لا يقدر ان يتحرك عنها وكثيرًا ما امعن نظرهُ في ذلك الوثن وكان يردد في عقلهِ الكلمات النوية التي قد سمعها ابوهُ . وفي الحال هبَّت عاصفة مخيفة وكانت اصوات الرعود القاصفة كاصوات الوف من المدافع والبروق اللامعة تتساقط من اعالي الجلد المظلم وكل الارض بانت مهتزّة ومرتجفة بسبب هيجان الزعازع العظيمة . فقال في نفسهِ أني عاصفة مثل هذه سمع ذلك الصوت

المخيف على الجبل قائلاً «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً»
وحينئذٍ سقطت صاعقة مخيفة لم يسمع بمثلها قبلاً وفي لحظة
استنشق رائحة الحريق ثم التفت فراى النار ملتهبة فوقهُ
في ذلك الكوخ والقش كان مضطرمًا فوق راس ذلك
الولد المفلوج الذي لا يستطيع ان يهرب من امام النار.
وعند ذلك احمرَّ وجه التمثال من لمعان اللهيب حتى
بان لذلك الصبي المرتاع ان ذلك الوثن كذي حياةٍ
فصرخ قائلاً اعني خلصني يا كريشنا العظيم انقذ الذين
يتكلون عليك نجني من هذه النيران العظيمة. فذلك
الصنم ما اختلج ولا سمع ولكن الشرار كان يتساقط عليهِ
حتى التهب اخيرًا. فافتكر حينئذٍ الولد الهندي المسكين
المفلوج وهو وسط آلامهِ الشديدة في اله المسيحيين القوي
ورفع يديهِ وهو امام صنمهِ وصرخ قائلاً ايها الرب يسوع
المسيح اذا كنت تقدر ان تخلصني فخلصني من هذه النيران
الملتهبة حولي وانا اكون لك واعبدك كل ايام حياتي
وفي تلك الدقيقة رجع الوالد الى الكوخ فراى

النار تتقد في كل جوانبهِ ونظر ابنهُ مطروحًا على الارض بدون مساعدة ثم التفت الى الوثن الذي كان يسجد لهُ زمانًا طويلاً ورأى ان ليس لهُ وقت لكي يخلص الاثنين معًا. فأيًا يلتزم ان يترك ليكون ماكلاً للنار فلو جرى هذا الحادث قبل ذلك بيوم واحد فقط لكان تردد في اختيارهِ واما الآن فما توقف البتة فرفع ابنهُ على ذراعيهِ وانتشلهُ من اللهيب ولم يبالِ بالصنم وقال اذا كان كريشنا الهًا بالحق فانهُ سينجي نفسهُ وفي الحال تحول ذلك الكوخ رمادًا والصنم صار كومة فحمٍ محترقة. وعاش الولد عيشة جديدة وفي السنة التابعة بعد تعليم كثير من المبشرين قبل الديانة واعتمد مع ابيهِ مؤمنين بما هو مكتوب في الكتب المقدسة وهو قولهُ تعالى «وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع الذي ارسلتهُ»

الوصية الثالثة

العلامات في الرمل

ذهب شابٌّ مسلمٌ يسمى الحكيم علي بعد رجوعهِ من سياحتهِ في بلاد العرب لزيارة صديقٍ مسيحي لهُ اسمهُ يوحنا وكان بينهما مع اختلاف مذهبيهما مودة ومحبة وافرة فجلسا تحت ظل شجرة وابتدا الحكيم يقص على يوحنا ما قد رآهُ في اسفارهِ وكان يوحنا مصغيًا الى كل ما كان يقولهُ صديقهُ الذي كان كلما ذكر جملة يحلف باسم الله العظيم حتى انهُ عند ما كان يخبر بالصعوبات التي عاناها في ركوبهِ والضيافات الردية في الخانات كان يستشهد الله وكان ايضًا يقسم بالله في وسط الهزل والضحك . وكان في يد يوحنا عصًا يرسم بها علامة على الرمل كلما ذكر عليٌّ اسم الجلالة فحانت اخيرًا من عليٍّ

التفاتة فراى ذلك العمل. وقال متعجبًا ما الذي تحصيه بهذه العلامات وماهذا الدفتر الرملي. فاجابه يوحنا قائلاً هذه دبون. فحلف علي بالاسم العظيم وقال يظهر ان عليك دَينًا كثيرًا. وعند ذلك مدّ يوحنا العصا ورسم علامة اخرى ثم التفت نحو علي وسالهُ قائلاً انك قد زرت في حياتك عدة اماكن مكرسة وقبور مقدسة فهل خلعت حذاءك قبلما دخلت اولا

فدُهش علي من هذا السوال واقسم بالله باعلى صوته وقال هل تحسبني خنزيرًا نجسًا أعندك شك في عادتي بخلعي حذائي عند ما ادخل محلات كتلك فانني لم اقترب قط الى مكانٍ مقدس بدون وقار واعتبار

فاشار يوحنا نحو العلامات التي على الرمل وقال يا صديقي انك في هذه الساعة قد اهنت الله القدوس خمس عشرة مرة وما اظهرت الوقار لمن هو الاقدس

فقال علي بدهشٍ ماذا تعني بهذا واذ قال ذلك حلف باسم الله القدوس

حينئذٍ وضع يوحنا عصاهُ على الرمل ورسم علامةً اخرى وقال بعبوسٍ يا للعجب كيف ان بناء مصنوعًا بايدي الناس لهُ اعتبار عندك اكثر من اسم الله العظيم الذي تخرُّ الملائكة عند ذكرهِ أَوَليس كل وقتٍ فيهِ يُؤخذ اسم الله بالباطل تُرْسَم فيهِ علامةٌ على ذلك الدفتر المحفوظ عند الله في الاعالي لا على الرمل حيث تمحى بسهولةٍ. فياصديقي ان القدير ذاتهُ نطق بهذه الوصية «لا تحلف باسم الرب الهك باطلاً لان الرب لا يبرئُ مَن نطق باسمهِ باطلاً» وهذه كُتبت اولاً باصبع الله على لوح من حجر وأُعطيت لموسى

عند ذلك نهض علي من مكانهِ وسأَل بغضبٍ قائلاً فهل تجنبون انتم المسيحيين ذكر اسم الله باطلاً

فقال يوحنا اننا نلتزم ان نعتني بذلك اكثر من كل الناس لان ليس هذه الوصية فقط تعلمنا ان لا ناخذ اسم الله باطلاً بل الطلبة الاولى من الصلاة الربانية ايضًا التي علمها الرب يسوع لتلاميذهِ وهي قولهُ «ليتقدس

اسمك ،، واذا كنا نستعمل ذلك الاسم بدون وقار فجميع صلواتنا تصير استهزاء ونكون مجرمين وخطاة امام الله لانهُ مخيف هو التحذير المعطى لنا من قبل ربنا القائل ،، ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين مت ١٢: ٣٦ ،،

ولما سمع علي ذلك تغيرت هيئتهُ واضطرب قلبهُ ورفس برجلهِ العلامات التي كانت على الرمل وقال اذن من يستطيع ان يقف في يوم الدين . فنظر اليهِ يوحنا وقال ان لا احدًا يستطيع ذلك الاَّ الذين لا يتكلون على برهم الذاتي بل على بر المخلص يسوع المسيح . واني كثيرًا ما صرخت نظير النبي اشعيا ،، ويل لي اني هلكت لاني انسان نجس الشفتين اش ٦: ٥ ،، ولكن حينما افتكر في الدم الذي أُريق من جنب المسيح على الصليب لاجل الخطاة اشعر بجواب داخل قلبي يقول لي ،، ان هذه قد مسَّت شفتيك فانتزع اثمك وكُفِّرَ عن خطيتك ولا شيءٌ من الدينونة على الذين هم في المسيح يسوع ،،

الوصية الرابعة

البستان الجميل

كان لانسانٍ ابن صغير اسمهُ يوسف محبوب منهُ جدًّا قال لهُ يومًا يا يوسف تعال معي الى البستان الذي اشتريتهُ واعددتهُ ميراثًا حسنًا لك

ثم اقتادهُ الاب الى بستان جميل فيهِ من كل انواع الازهار التي منها ما هو جميل اللون ومنها ما هو زكي الرائحة . وهو مقسوم الى سبعة اقسام والازهار في القسم السابع كانت ذات لونٍ يضاهي الثلج بياضًا . فقال الاب يا بنيَّ مباحٌ لك التنزه والسرور والترويض في الاقسام الستة من هذا البستان . اما القسم السابع فلا تدنُ منهُ ولا تدُسهُ لاني خصصتهُ بنفسي فيسوغ لك ان تتمتع فقط برؤيتهِ وتتنشق رائحة ازهارهِ عن بعدٍ بدون

ان تمسها بيديك فاحترس لانها لي خاصة وفي امتناعك عن ذلك تبرهن لي حسن طاعتك . وان محبتي لك هي التي جعلتني اقتني القسم السابع فالازهار البيضاء المفتحة على النباتات سميتها ثمرةٌ لذيذةٌ شهيةٌ للنظر واكلها يعطي الصحة وهذا القسم يكون بركة اعظم من الستة الاخر وانما الآن ادعوهُ خاصتي فلا تجاوز حدود المكان المفروز

وبعد مدة وجيزة ذهب الاب الى مكان يبعد مسافة عن ذلك البستان لقضاء امرٍ ما وترك الابن فيهِ فبقي يوسف من الصباح الى المساء يجول في البستان ويجمع ما طاب لهُ من الازهار ويصنع اكاليل من الازهار الجميلة الحمراء والصفراء والزرقاء ولكنهُ لم يكتفِ بهذا بل طمح بصرهُ الى الارض المنهي عن ان يدوسها . فقال لماذا أُحصَرُ في هذه الاقسام الستة وأُقصَر عليها فانني لا احب رائحة تلك الازهار البيضاء ولو اقتلعتها لغرست مكانها ازهاراً ذهبية احب اليَّ من هذه واما الثمرة

التي ذكرها ابي فلا ثقة لي بانها تكون بل لا اقدر ان انتظرها . فامر لا يطاق منعي عن القسم السابع من بستاني ويمكني اقول ان ذلك النهي كان بدون تبصر وتروٍ

واذ ذاك اسرع الى الارض المنهي عنها دائسًا النباتات وناثرًا الازهار واستاصل بعضها من جذوره ثم وضع مكانها نباتات ازهارٍ ذهبية لكنها لم تنبت بل جفّت واكتسى ذلك القسم حالاً زوانًا ومن ثم صار قفرًا. ولما رجع الاب غضب على يوسف غضبًا عظيمًا وناداهُ قائلاً انك تعديت وصيتي ودخلت القسم السابع من البستان ونزعت النباتات التي كان يمكنها ان تحمل اثمارًا ثمينة فلم يبقَ لك حق ان تملك شيئًا من بستاني

فهذه القصة انما هي مثَل . فالبستان هو الوقت وجزؤهُ السابع هو السبت الذي خصصهُ الآب السموي لنفسهِ كما يفهم من قولهِ تعالى «اذكر يوم السبت لتقدسهُ ستة ايام تصنع وتعمل جميع عملك واما اليوم السابع ففيهِ

سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما انت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسهُ ،،

والازهار البيض التي نمت في البستان انما هي ازهار الصلاة والحمد وتلاوة الكتاب المقدس. ورائحتها هي كناية عن رائحة جنة عدن وحلاوة ثمارها تشير الى الفرح السموي حيثما تتحوَّل ترنيمات الحمد الارضية الى ترنيمة مفدي الرب اخيرًا وتكون ممالك العالم قد صارت لربنا ومسيحهِ وهو سيملك عليها الى ابد الابدين

الوصية الخامسة

الامُّ العمياء

طرد شاب اسمهُ ناند من بيتهِ لكونهِ صار مسيحيًّا

واجتنب معاشرتهُ جميع اصدقائهِ الاعزاء ولم يشاءوا ان
ياكلوا معهُ حتى لم يدعوهُ ان يدخل اعتاب بيوتهم .
واستولى اخوهُ الاصغر على مالهِ . والاغرب من كل
ذلك ان امهُ الارملة هارميوزي كانت تنزع صدرها وتشتم
بكل شفةٍ ولسان وتلعن ابنها بكرها الذي كان عزيزًا
جدًّا عندها وتطلب من الالهة الانتقام منهُ

حينئذٍ انزعجت نفس ناند وتكدر قلبهُ من جرى
ذلك وقام في حزن عظيم وخرج تاركًا بيت ولادتهِ ولكنهُ
تذكَّر كلمات المخلص الذي قد خسر كل شيء لاجلهِ حتى
بذل نفسهُ وهي قولهُ « من احب ابًا او امًا اكثر مني فلا
يستحقني . طوبى للمطرودين من اجل البر فان لهم
ملكوت السماء

قلنا ان هارميوزي لعنت بكرها لان حاسيات
الغضب كانت متقدة فيها وانما قلبها بقي متعلقًا بهِ . وبعد
سنة سمعت خبر موتهِ فكان حزنها عظيمًا وقد حلَّت
عليها عدَّة مصائب ايضًا فانها بُليت بعمىً حصل لها

بالتدريج حتى صارت لا تستطيع ان تبصر نور النهار .
وابنها الثاني الذي اسمهُ موهاند ما اظهر لها شيئًا من المحبة والكرامة فانهُ تزوج امراة متكبرة كانت تحتقر حماتها العمياء حتى انها جعلت حياتها مرَّة بكلامها القاسي الذي كانت ترشقها بهِ وموهاند ايضًا طالما اهان تلك الوالدة الحنون بالضرب وعاملها بالقساوة فكانت كعبدةٍ في البيت الذي كانت سائدة فيهِ قبلاً

فتنهدت بمرارة تلك الامّ التعيسة وقالت آه ابن انت يا ابني وبكري يا ناند المسكين واين عيناك لتنظرا ماذا اصاب والدتك نعم نعم ان قلبي يحدثني بانك لو كنت ههنا لما كنت تعاملني بمثل هذه المعاملة . ولما تذكرتهُ أنت انينًا مكربًا لانها لعنتهُ لكونهِ فعل ما شعر بانهُ حق

وكانت كنتها القاسية تستكثر عليها الطعام الذي تاكلهُ وتقول لها ان موتكِ خير من حياتكِ اذ لا فائدة منكِ للشغل ولكنكِ تسبقيننا على الاكل وتلتهمين مؤونتنا فاذهبي الى الازقة واستعطي لان المارين في الشوارع عندما

يرونكِ عمياء يتصدقون عليكِ . فالتفتُّ هارمبوزي المسكينة العمياء بثوبها البالي والجوع والغم قد اخذا فيها كل ماخذ والحزن الشديد قد حنى ظهرها ومضت وجلست في احد الازقة ومعها كشكول من نحاس لتجمع فيهِ الاحسان ثم مدَّت يديها النحيفتين تلتمس صدقة

فصرفت هناك عدة ساعات ولم تنل شيئًا من جميع المارين ولا كلمة شفقة واخيرًا سمعت صوتًا منخفضًا كانهُ من شيء أُلقي في كشكولها فمدت يدها لتجسهُ واذا هو مملوءٌ ارزًا وحينئذٍ دنا منها واحد بلطف واخذ بيدها واقامها واقتادها نحو بيت ابنها اخيهِ الجافي الذي لم يقم بواجبات البنوة فابتدات تبارك ذلك الغريب الشفوق وتشكر معروفهُ وتلتمس من ڤيشنو (اله في الهند) ان يفيض عليهِ البركات وينعم عليهِ بطول الحياة والتوفيق . كل هذا وذلك الرجل الذي اقتادها لم يتكلم ولا بكلمة واحدة على مسمعها بل تركها في زاوية زقاقٍ بالقرب من بيت ابنها

المنكر معروف حقوق التربية

وفي اليوم التالي طُرِدت هارميوزي المسكينة ثانيةً بسبب كنتها العاتية لتستعطي كجاري العادة فخرجت سائرة بتمهل في الطريق التي تؤدي الى ذات المكان حيث وجدها الرجل الجزيل الحنو الشفوق وجلست هناك وما انتظرت سوى وقتٍ قصير حتى شعرت بان كشكولها مُلئ ثانيةً من الارزّ وذات اليد اللطيفة التي أُمسكت بها في اليوم الاول قد اخذت الان المراة العمياء وارجعتها كالاول ومن ثمّ صارت تدعو بالخير لذلك الذي صنع معها الرحمة وتباركهُ بادعيتها الحارة ولكنّ الفاعل الاحسان والمساعدة لم يجب بشيء

فاستمرا على مثل هذا عدة ايام واسعافها من الارزّ لم يتناقص ولكنها ما عرفت ان الرجل الذي يملأُ لها الكشكول كان غالبًا يجوّع نفسهُ حتى يشبعها هي فكانت متعجبة من انها لم تسمع قط صوت الغريب فقالت في نفسها لا ريب في انهُ مصاب بالطرش

وفي احد الايام جلست هارميوزي في مكانها المعهود
مرضضة الوجه باكية بمرارة ونادبة سوء حظها وتعاستها
وكيف انها اصبحت عرضةً للاهانة والهزء حتى ان ابنها
الذي كانت تنتظر مساعدتهُ ومكافاتهُ لها بالكرامة جزاء
لانعابها وتربيتها قد عاملها بالضرب وطردها من بيتهِ.
وبينما هي كذلك والزفرات تتصاعد من فؤادها
والعبرات تنسكب من عينيها وهي تتأوّه وتئن مفضلة
الموت على الحياة لانها كانت ترى في بصرها العقلي ان
كل ابواب الفرج مغلقة في وجهها حيث فقدت ابنها
البكر واستولى عليها الهرَم وأُصيبت بالعمى وصارت
مرذولة ممقوتة من اهل بيتها فعوضًا عن الكرامة كانت
مهانة ومرفوضة ومطرودة واذا كانت تنحب وتندب سوء
حظها وتستجير ولا منجد فبسطت يديها الظاهر عليهما
اثار الضرب وابتدات تقول ايها الالهة المقدسون الذين
اعينهم تلاحظ كل عمل ويعرفون كل فكر انتم تعلمون كم
انا مظلومة وكيف جوزيت عوضًا عن معروفي فاما

انصفوني وانقذوني واما خذوا نفسي واريحوني من بلاياي
لان حياتي صارت مرّة اكثر من العلقم فالى متى يا الهي
ڤيشنو لا تحامي عن عبدتك فها انا الان اسقط بين يديك
فاما خلصني او خذني اليك ثم التفتت الى البشر وقالت
يا اخوتي واخواتي ويا رفاقي واقاربي اين اعينكم لتنظر
انني الآن بسطت اليكم يديّ ليس لاجل الصدقة فقط
بل لالتمس من حنوكم المرحمة ايضًا اين اصحاب الشفقة
اين اهل الانصاف من يرحمني من يخفف عني الاوجاع
الجوع كاد يضنيني والموت اوشك ان ينشب فيّ مخالبهُ
وها انا الان متروكة ومنسيّة فاطلب منكم يا ابناء جنسي
ياذوي الخير اذا مت ان لا تدعوا الدود ياكل جسدي
في هذا الزقاق تحت ارجل العابرين بل حاموا عن
ناموسكم ارحموا مَن كسر الدهر قلبها وصيرها عبرة لكل
عابر. وبينما هي تقول هكذا اتى الرجل الذي طالما اجبر
نفسهُ على الصمت ولما رآها على مثل ذلك لم يستطيع ان
يمنع اظهار نفسهِ لها فاطلق صوتهُ بالبكاء وصرخ يا امي آه

يا امي ولما سمعت ذلك تلك الام المسكينة تيقنت انهُ صوت ابنها ناند المفقود فنهضت بغتةً ومدت ذراعيها ضامةً اياهُ الى صدرها وسقطت باكيةً على عنقهِ وصرخت باولدي المحبوب هل انت هو يا عزيزي هل انت هو الذي في كل هذه المدة الطويلة كنت تعول التي في ساعة شريرة لعنتك انت ابنها وحبيبها البكر

فاجاب ناند يا اماه وشقيقة نفسي اما تعلمين ان الذي قال من احب ابًا او امًا اكثر مني فلا يستحقني قد اوصانا ايضًا بقولهِ اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك

الوصية السادسة

القرية المخطرة

دخل مبشرٌ يسمى وارًا قرية كان فيها اربعة رجال

من رؤوس العيال اسم الاول نيحال والثاني تارا والثالث كاندا والرابع للأ وهولاء قبلوا الانجيل واعتمدوا وكان قد غاب عنهم المبشر ستة اشهر ثم رجع ثانيةً ليتفقد احوالهم راجيًا ان يجدهم راسخين في الايمان ومجدين في سيرتهم الطاهرة المخلص الذي تعهدوا بان يخدموهُ . فما كان اعظم حزن ذلك المبشر عند ما وجد الشيطان قد زرع بذار الخصومات والشقاق والبغضة فيما بين ذلك القطيع الصغير الذين كان ينبغي ان يحبوا بعضهم بعضًا كما احبهم المسيح

فان نيحال تخاصم مع تارا على قطعة ارض وزوجة كاندا تكلمت كلامًا مهينًا زوجة للأ وهكذا حتى لم يبقَ احدٌ من الرجال الاربعة يريدان يتكلم مع جارهِ . فمجيء المبشر كان سبب مرارة جديدة لهم وكل منهم طلب منهُ ان ينزل في بيتهِ فراى وارن في ذلك صعوبة لانهُ اذا نزل في بيت الواحد يغتاظ الآخرون

فواسفاه انهُ حيث كان المبشر ينتظر ان يجد المحبة

والسلام والفرح وجد الغيظ والبغضة والخصومة . فحمل كتابهُ بيدهِ وجلس تحت ظل شجرة واستدعى اولئك الرجال لملاقاتهِ هناك فحضروا ولكنهم جلسوا مبتعدين الواحد عن الآخر . فاجتمع هناك جمهور من اهل القرية ليروا المبشر ويسمعوا كلامهُ لكن لم يرغب احدٌ منهم في ان يصير مسيحيًّا لانهم قالوا في انفسهم ان هذا المبشر لما حضر الى هنا قبلاً اخبرنا ان الله محبة وان الديانة المسيحية ديانة محبة واما الآن فانظروا هولاء الرجال الذين اعتنقوا الديانة المسيحية واعتمدوا فانهم لا يحبون ان يجلسوا معًا ولا ان ياكلوا معًا . فنظر المبشر بحزن الى اولئك الرجال الاربعة المعتمدين الذين جلبوا عارًا على الاسم المسيحي ثم رفع قلبهُ الى الله وصلى لاجلهم وحينئذٍ شرع يخاطبهم قائلاً انهُ لاشيءٌ احب اليَّ من وجود السلام والحب فيما بينكم لان ذلك انما هو رغبة قلبي وبما ان نيحال هو اكبركم سنًّا يليق بنا ان نذهب الى بيتهِ جميعًا ونتناول معهُ طعامًا وبذلك نجدد رباطات الحب

وعلاقات الصداقة بنزع كل روح خبيث. فقاوم تارا هذا الراي وقال انني لا اريد ان ادخل بيته ابدًا . وهكذا كانا وللأ نظر كلٌ منهما الاخر بعين الخشونة والشراسة وقالا اننا لا نحب ان ناكل سوية ابدًا

فعند ذلك قال المبشر انهُ صار لي مدة اثنتي عشرة سنة في هذه الخدمة اذهب من مكان الى اخر واجول بين الناس ولم ارفض قط ان امضي الى بيت الذي يدعوني ولا ان آكل مع انسانٍ يريد ان ياكل معي سوى مرة واحدة فقط كنت في صعوبة عظيمة فانني ذهبت الى احدى القرى حيث كان البعض مستعدين بالحقيقة ان يقبلوني ولكنني عرفت بانهم كانوا جميعهم قتّالين

فصاح الرجال المسيحيون الاربعة مدهوشين وقالوا كلهم قتالون بالحقيقة ان ذلك المكان مكان ردي جدًا

فقال المبشر ماذا تظنون اني فعلتُ

فاجابوا جميعهم بصوت واحد قائلين انك خرجت

من تلك القرية بكل سرعة. حينئذٍ فتح كتابهُ وقرأ بهدو
« كل من يبغض اخاهُ فهو قاتل نفس وانتم تعلمون ان
كل قاتل نفس ليس لهُ حياة ابدية ثابتة فيهِ ايو٣:١٥ »
فحدث سكوت تام . ثم قال يا احبائي انتم تعلمون ان الله
قال « لا تقتل » وكلمتهُ ترينا ان هذه الوصية تصل الى
افكار القلب وانتم تدعون انفسكم عبيدًا لذاك المخلص
الذي احب اعداءهُ وصلى لاجل صالبيهِ ومات لاجل
مبغضيهِ. آهِ فتذكروا ان الذين ياتون اليهِ للمغفرة والحياة
ينبغي ان يتمثلوا بهِ في القداسة والمحبة لانهُ مكتوب في
كتاب الله « ان كان احد ليس لهُ روح المسيح فذلك
ليس لهُ رو٨:٩ »

فصار ايضًا سكوت طويل وحينئذٍ قام نيحال من
مكانهِ ودنا من تارا وقدم لهُ نار جيلة فقبلها تارا متبسمًا ثم
نهض الاربعة المسيحيون وتصافحوا وقبل المساء كانوا
متسامحين ونازعين كل بغضةٍ وعداوةٍ واكلوا معًا
كاصدقاء واخوة في المسيح

الوصية السابعة

الخباء الجميل

ينبغي قبل الشروع في سرد القصة الآتية ان نبين بالاختصار عادةً جاريةً في بعض انحاء هذه البلاد وهي انهُ من جملة عوائد اعيان المسلمين ان يحجبوا نساءهم عن النظر حتى انهُ لا يؤذن لاحدٍ ان ينظر الى امراةٍ الاَّ زوجها او مَن لهُ قرابة عصبية قريبة جدًّا منها والخلل في هذه العادة محسوب عارًا عظيمًا واهانة شديدة . وهذه العادة تسمى اختباء. وقد امتدت من الاسلام الى الهنود فانهُ حدث ان امراة طاعنة في السن وثبت من مكانها برعب شديد واختبأت وراء كرسي لان شيخًا نظرها عرضًا. وان كثيرات من المرضى يتركنَ استعمال العلاج نظرًا للامور المذكورة . فالاختباء من اعظم الموانع التي

تمنع من المعمودية النساء المؤمنات اللواتي اقتنعنَ بصحة النصرانية مع ان ازواجهنَّ مؤمنون. وهذه العادة بقيت اوقاتًا مع بعض النساء المتجددات من الهنود فكانت سببًا لعدم النجاح الروحي وما انفكّ طالما اوقعهنَّ في صعوبات كثيرة ففي الكنيسة الهندية مخدع صغير للنساء اللواتي يستعملنَ هذه العادة حذر النظر اليهنَّ فكيف يمكن والحالة هذه امراةً تستعمل هذه الطريقة ان تشترك في العشاء الرباني وكيف يمكنها ان تكون قدوةً للامم الذين حولها. فاستتار النساء انما هو كخمار يحجب فيهِ المتجدد الهندي كلما يعرفهُ من الديانة وان يكن ذلك عادةً فهو مخلٌّ في الاداب. فالمراة في سترها وجهها كثيرًا ما يحدث انها تهيج شهواتنا لامورٍ اخرى

ومما يجب اعتبارهُ هو ان هذا الاستتار او الاختباء يطلق على معنيين الاول هو ما تقدم والثاني هو الخمار الذي هو كناية عنهُ

انت امراة تاجر اسمها زليخا لتزور امراة تاجر اخر

اسمها مريم وكانتا كلتاهما معتمدتين باسم المسيح لكن قلب زليخا كان لم يزل متشبثًا بالعوائد المذكورة التي تعلمتها منذ حداثتها وكان احب اليها ان لا تاتي الى الكنيسة لئلا ينظرها احد. ولم تُشاهَد في وليمة ولو كانت لاعز احباء زوجها ولا اهتمّت في تعلمها القراءة وانما اهتمامها الوحيد كان في استعمال الجواهر والتحلي والوشي بحق جيرانها. فجلست زليخا على مقعد وقالت يا مريم اصحيح ان جارك شحاده وصل البارح من انكليترا قبل وقته المعين باسبوع

فقالت مريم نعم وكان لفاطمة فرح لا يوصف عند رؤيتها زوجها راجعًا بسلامة بعد غياب ستة اشهر

فقالت زليخا بتبسم احتقار أفرح عظيم كان لها كنتُ قد افتكرت في ان فاطمة تفرح قليلاً بلقاء زوجها بعد غيابهِ ست سنوات لا ستة اشهر

فاشتعلت مريم غضبًا اذ رات ان جارتها ابانت افكار شر. وقالت ان فاطمة هي زوجة كثيرة الرضى امينة فلو غاب رجلها ست سنوات لوجدها غير متغيرة في

اداءها عما فارقها أولا تعلمين يا زليخا ان فاطمة تحافظ على عادة اختبائها كل المحافظة مدّة غياب زوجها

فقالت زليخا بدَهش . أتحافظ على اختبائها . فانك لم تقولي الحق هذه المرة يا مريم فانني اعلم انها كانت تذهب الى الكنيسة كل اسبوع في مدة غياب رجلها واتاكد انها زارت صديقاتها ماشية واكثر من ذلك قد سمعتُ انها كانت تعلّم في مدرسة . وقد لاح على وجه زليخا علامات الغيظ الناتج من خرق عادة شريفة عند الشرقيين مع انها كانت تعرف ان مريم نفسها تفعل عين تلك الامور المنسوبة لفاطمة . فقالت مريم مبتسمةً ان فاطمة قد فعلت كل هذا ومع ذلك لزمت الخباء

فقالت زليخا انكِ لقد حيرتني بهذا

قالت مريم ربما لم تسمعي انهُ في بيت فاطمة حجاب جميل كامل وقديم الاصل وهذا الحجاب اثمنُ جدًّا من شال كشمير او من قطعة مطرزة بالذهب ومرصّعة بالجواهر

فقالت زليخا بدهش وحيرة لاشك انكِ خسرتِ ذكاكِ لانني اعرف ان لا امراة اقل جواهر من فاطمة واتيقن انها لا تستطيع ان تحب زوجها البخيل واذا كان لها حجاب جميل كما ذكرتِ فهي لم تحصل عليهِ منهُ فقولي لي هل نظرتِ ذلك الستار الجميل فقالت مريم نعم وانا لي واحد نظيرهُ تمامًا ووضعت يدها على كتابٍ بجانبها عرفت زليخا انهُ الكتاب المقدس وان تكن لا تستطيع قراءتهُ

فقالت زليخا انكِ تلغزين في كلامكِ. ثم فتحت مريم الكتاب المقدس وقرأت من العهد القديم الوصية السابعة ثم من العهد الجديد قولهُ «فاريد كذلك ان النساء يزينَّ ذواتهنَّ بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر او ذهب او لآلئ او ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله باعمالٍ صالحة ١ تي ٢ :٩ و١٠» وقولهُ «كذلكنَّ ايتها النساء كنَّ خاضعاتٍ لرجالكنَّ حتى وان كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون

بسيرة النساء بدون كلمة ملاحظين سيرتكنّ الطاهرة بخوف ١ بط ٣: ١ و ٢ ،، وحينئذٍ وجدت آية اخرى مكتوبة لاجل الرجال والنساء وهي ،، اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى احد الرب عب ١٢: ١٤ ،،. ثم اغلقت الكتاب وقالت فهذا هو الحجاب الجميل الذي في بيت فاطمة وقلبها وما دامت محتجبةً به لا تحتاج الى غيره

الوصية الثامنة

حلم الخادم

حكي ان خادمًا عند احد المرسلين اسمهُ يونس جلس يومًا يقرأ في الكتاب المقدس وكانت لهُ معرفة جيدة للديانة المسيحية واقتنع بان تلك الديانة حق الاَّ انهُ ما احبها لانها طاهرة ومقدسة وقد قرأ الوصية الثامنة

وهي قولهُ تعالى «لا تسرق خر ٢٠: ١٥» ثم تلا هذه الكلمات «يجب على العبيد ان يخضعوا لسادتهم ويرضوهم في كل شيء غير مناقضين غير مختلسين بل مقدمين كل امانة صالحة لكي يزينوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء تيطس ٢: ٩ و ١٠» حينئذٍ اغلق التوراة بغضب وطرحها جانبًا وقال عجبًا أأذا كنت معتمدًا ومسيحيًا بالحق فهل يجب عليَّ ان اعتزل كل غش ولا احصّل شيئًا غير اجرتي المرتبة لي ولا اختلس من سيدي الغني بارة واحدة الاَّ المعين لي فهذا اعظم مما احتمل فليصر غيري مسيحيًا اما انا فلا اقدر ان انسخ عادةً نمت فيَّ وتاصلت منذ سنين واجعل نفسي فقيرًا لاجل الانجيل

وفي تلك الليلة راى يونس حلمًا وهو انهُ وقف مع اناس اخرين في سوق العبيد مقيدًا بسلاسل ثقيلة واصوات الويل ترتفع حولهُ وبالقرب منهُ واحد لابس حلةً سوداء فسالهُ يونس قائلاً . لماذا نحن مقيدون هنا ومن اتى بنا الى مكان الخجل والحزن هذا . فقال ذاك

يا ايها الضال انك لقد بعت مع كل من حولك لظالم مخيف سيطر حكم في لهيب النار الآكلة بعد ما تممون عملهُ لانهُ هكذا يفعل بعبيدهِ دائمًا حين يفرغون من عملهم لهُ فصرخ مشتعلاً غيظًا وقال كيف صرنا عبيدًا واي ملعون باعنا. فقال الرجل ياهذا ان كل واحد منا هنا قد باع ذاتهُ بذاتهِ والمال الذي اخذهُ بدل نفسهِ هو هذه السلسلة المقيَّد بها فيا ايها الاغبياء أما قال المسيح «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كلهُ وخسر نفسهُ او ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسهِ مر ٨: ٣٦» . وبينما هو يتكلم ضُرِبت الطبول واخذت ترجُّ باصواتها الهائلة الممتزجة بالبكاء والعويل منذرة بقدوم الظالم الى سوق الارقاء لياخذ غنيمتهُ

فارتعد يونس في حلمهِ ارتعادًا فائق الحد لانهُ ما راى قط منظرًا مرعبًا كهذا لان عيني ذاك الجائر كانتا كلهيب نار او نظير عيني النمر الجائل في الغاب في ظلام الليل طالبًا فريستهُ . فتقدم نحو الاول من العبيد .

فنظر يونس اذ ذاك صعلوكًا مسكينًا منطرحًا في رعب شديد عند قدمي مهلك النفوس . فقال ذو الحلة السوداء انظر هذا الصعلوك هو وزير قوي صار غنيًا جدًا بسبب الرشوات التي اخذها فهو مكبل بالذهب والجواهر الآن حتى انهُ لا يستطيع ان ينظر الى فوق بسبب ثقلها . فالتفت يونس فراى السلاسل الذهبية مغرزة في لحم الرجل الذي كان باع ذاتهُ لمهلك النفوس فصاح الجائر الظالم وقال ان هذا لي فخذوهُ . ثم اقترب الى العبد الذي يليهِ يونس وكان واقفًا وعيناهُ كادتا تطيران من وجههِ من جرى الرعب وهو يجتهد باطلاً في قطع القيود المصنوعة من المصكوكات الفضية. فقال ليونس صاحب الحلة السوداء هذا هو لص باع نفسهُ لهذه السلسلة الفضية التي تراها الآن. فصاح الجائر قائلاً وهذا لي فخذوهُ كذلك فافتكر يونس وهو يرتعد خوفًا وقال جاءت نوبتي ونظر الى اسفل فراى سلاسلهُ القاسية مصنوعة من بارات كان قد اختلسها الواحدة

بعد الاخرى فباع نفسهُ بها فاقترب المهلك منهُ وحينئذٍ خاف خوفًا لا يوصف اذ توقع الدينونة وقول ذلك الظالم وهذا لي فخذوهُ . فاخذ هذا الحقير المسكين يجتهد عبثًا في قطع سلاسلهِ وبينما هو يفعل ذلك استيقظ من حلمهِ وبقي مضطربًا ولكنهُ شكر الله على ان يوم الرحمة لم يمضِ وان لهُ بعد وقتًا بهِ يمكنهُ ان ينجو من مهالك النفوس فجثا على ركبتيهِ واخذ يراجع الكلمات التي كان تعلمها من الكتاب المقدس وهي ،، ليترك الشرير طريقهُ ورجل الاثم افكارهُ وليرجع الى الرب فيرحمهُ والى الهنا لانهُ يكثر الغفران اش ٥٥ : ٧ ،، لان اجرة الخطية هي الموت واما هبة الله فهي حياة ابدية بالمسيح يسوع ربنا رو ٦ : ٢٣ ،،

الوصية التاسعة

حنجور الطيب المكسور

كان رجلٌ اسمهُ موهاندرو خادمًا عند احد المبشرين فنظر يومًا ميليا خادمة امراة سيدهِ منطبة الوجه ومكتئبة فقال لها يا ميليا مالي اراكِ مضطربة ومغمومة . فقالت بينما كنت اكنّس غرفة سيدتي سقط عن الرف حنجورها الجميل وانكسر وسال على الارض كل فيهِ من الطيب

فقال موهاندرو مبتسمًا ماذا عليكِ فان هذا حدث مرةً واحدة مذ دخلتِ البيت فردّي الحنجور الى مكانهِ وحين تنظرهُ السيدة مكسورًا وفارغًا قولي لها انك وجدتهِ هكذا وان الخادمة التي كانت قبلكِ هي التي فعلت ذلك الامر

وميليا قبل ذلك الوقت بقليل ما كانت تبالي باخبار الكذب وانما الآن كانت مسيحية معتمدة ومتعلمة وصابا الله وتعرف هذه الوصية ,, لا تشهد على قريبك شهادة زور ،،

وكانت قد عزمت على ان تحفظ شفتيها كل التحفظ لانها قد تعلمت آية سليمان القائلة ,, كراهة الرب شفتا كذب ،، فقالت له اني اخاف ان اقول لسيدتي كذبًا. فضحك الخادم عند سماعه ذلك وقال ان الانسان يميل طبعًا الى الكذب كما يميل الى الاكل وان الخادمة التي كانت قبلك ذهبت الى بنارس فكذبكِ لا يضر احدًا في العالم

فقالت في قلبها ألا يضرُّ نفسي انا . الاَّ انها لكونها كانت معتنقة الديانة المسيحية حديثًا والعادة القديمة كانت لم تزل مستولية عليها اذ اعتادت منذ حداثتها ان تخبر بالكذب عزمت على انها حين تسالها سيدتها عن امر الحنجور تقول لها ان الخادمة التي كانت قبلي

كسرتهُ لانها خافت ان سيدتها تنسب اليها الطيش وعدم الاعتناء في اول دخولها البيت

وفي صباح يوم جمع المبشر عائلتهُ وكل خدمهِ للصلاة ومن جملة من حضر ميليا ولم تكن حضرت اجتماعًا مسيحيًا للصلاة قبل هذا الاجتماع فجلست على بساط شاخصةً في سيدتها وقد وضعت على حضنها ابنها الصغير هنري ولهُ من العمر اربع سنين . وفي سيدها وقد فتح الكتاب المقدس وقرأ خبر السماء والوطن السعيد المعد للذين يحبون الرب يسوع المسيح ويؤمنون باسمهِ ويطيعونهُ اما ميليا فلم تكن قد عرفت شيئًا من ذلك الفصل الذي قرأهُ من الكتاب المقدس فاصغت بسرور الى وصف ذلك المكان المجيد ولم تزل كذلك الى ان قرأ قولهُ «ولن يدخلها شيء نجس ولا ما يصنع رجسًا وكذبًا» رؤ ٢١ : ٢٧ . فجفلت لاستماعها هذا وقالت في نفسها هل يغلق امامي باب السماء ولكنها مع ذلك لم تعزم على ان تخبر سيدتها بامر حنجورها الجميل حسب الواقع تمامًا

وحينما انتهت الصلاة أمرت ميليا بان تاخذ هنري الى الجنينة لان الهواء كان معتدلاً فاحبت الولد جدًّا وكانت تراقبهُ بسرور فصار الولد يجول في الجنينة لاعبًا وفيما كان يلعب حاد عن الطريق فمرَّ بدون مبالاةٍ بالسياج وفي مرورهِ نثر زهرةً جميلةً عرف انها كانت ثمينة جدًّا عند والدتهِ وعند ذلك وقف حالاً ونظر بحزنٍ في عملهِ المخلّ. فصرخ وعيناهُ مغروقتان بالدموع آهِ ان امي اخبرتني ان لا العب في غير الطريق من الجنينة وان لا المس الازهار فلا ريب انها ستغتاظ عليَّ. فقالت لهُ ميليا لا تفتكر ابدًا ولا تخبر امك بذلك. فنظر الولد في وجه الخادمة وهو مشتعل غضبًا وقال اذا كنت لا اقول الصدق فالله يغضب واسرع الى والدتهِ ليقر لها بكل شيء. فنظرت اليهِ ميليا وعيناها تنهلان بالدموع وصرخت واويلاه أهذا الولد الصغير يخاف الله ويتكلم بالصدق وانا التي قد عاهدت الله وسلمت ذاتي الى اله الحق اتكلم بالكذب نظير الوثنيين. فيارب ساعدني على

تركِ هذه الخطية العظيمة ثم اتبعت بسرعة ودبعتها الصغير واعترفت لسيدتها بانها هي التي كسرت حنجور الطيب. فهل اغتاظت مولاتها من ذلك كلاً بل قالت اشكر الله لاني حصلت على خادمة صادقة وامينة اثق بكلامها

الوصية العاشرة

السقوط والثمر والكأس

حكي ان رجلاً اسمهُ يعقوب كان من عائلة شريفة لكنهُ فقير الحال فكان يجلس على قارعة الطريق. وكان يمرُّ عليهِ رجل اسمهُ باردومان وهو رفيق صبائهِ راكبًا جوادًا عربيًّا غالي الثمن ومعهُ سائسان يسندان ركابهُ. واذ راى يعقوب ذلك خامرهُ الحسد والطمع وقال لماذا هذا حاصل على رغد العيش وانا ليس لي سوى الشقاء ياليت كان حصانك لي بل الاكياس الملآنة

ريالات التي لك وانا استحقها اكثر منك

فقال اسحق وهو كان قد علَّم يعقوب اصول الايمان في صبائهِ وكثيرًا ما رغب في نجاحهِ يابنيَّ تحذَّر من اشتهاء ما لغيرك لان الله نهانا عن ذلك بقولهِ ,, ولا تشتهِ بيت قريبك لا تشتهِ امراة قريبك ولا عبدهُ ولا امتهُ ولا ثورهُ ولا حمارهُ ولا شيئًا مما لقريبك خر ٢٠: ١٧ ''

فقال يعقوب اي ضرر ينتج من الفكر اذا كان العمل بلا لوم فانني ما رفعت يديَّ قط للسرقة ولا للذبح

فقال اسحق انهُ كالبزر للشجر وكالبيض للطير هكذا الافكار لعمل اليد. فالانسان يرى الاعمال المعلنة والله يفحص القلب وفي عيني الله المبغض قتال نفس والطماع سراق كما هو مكتوب ,, ان محبة المال اصل كل الشرور اتي ٦: ١٠ '' فاقتلع الاصل وحينئذٍ تيبس الاثمار السامَّة

فجذل يعقوب من طهارة ديانة كهنه سوف تبكت ضمير كل انسانٍ وتظهرهُ خاطئًا امام الله. ثم قال بضجر

ما لم يُرَ الشر فانا انكر حقيقة وجوده بالكلية

ثم قال اسحق اصغَ وانا اخبرك بحادثة لي جرت في حياتي هي بمنزلة مثال لذلك. وهي انهُ قبلما وخط الشيبُ راسي ذهبت مسافرًا الى جبل في بلادنا وعند ما صعدت في مرتفعٍ عثر حصاني ورماني فوقعت في هوّةٍ لكن ثيابي تعلقت بعليقٍ ومع اني ضُرِرتُ قدرت ان ارجع الى الطريق راكبًا فرسي وفي حالة ركوبي وثب عليَّ نمرٌ من غابة واذ كنت قويًا يومئذٍ ومعي سكين حادة قتلتهُ بعد الجهد لكن ما زالت اثار مخالبهِ في جسمي حتى اليوم. واذ تعبت حينئذٍ وضعف جسمي لفقد الدم التزمت ان اتوقف في البيت الاقرب مع انهُ كان بيت اكبر اعدائي فقبلني بظواهر الغضب وقدَّم لي قدح خمر شربتهُ وما عرفت ان في الكاس سمًّا فالشر الذي كان غير ظاهر لديَّ كان اردا من الاخطار الهائلة الظاهرة التي صادفتها في الطريق فتالمت من السم المخفى في بدني اكثر كثيرًا مما اصابني في وقوعي في الوهدة وبين مخالب النمر

فقال يعقوب ان كنت قد سقيت سمًّا فكيف بقيت حيًّا الى اليوم

فقال اسحق بعد ما بارحت بيت عدوي ذهبت متالمًا جدًّا الى بيتٍ وجدت فيهِ طبيبًا حاذقًا اعطاني دواءً فعَّالاً نلت الراحة بواسطتهِ . وبواسطة ذلك الطبيب المسيحي قبلتُ العلاج الوحيد للخطية فالخطية الظاهرة التي يرتكبها الانسان وسم الخطية المخفى في القلب كالطمع والكذب سيَّانِ

فقال يعقوب فاذن علمك الديانة المسيحية

فقال اسحق . نعم علمني انهُ يوجد علاج وحيد مقدَّم من الله لغفران الخطايا الماضية لكل الذين يؤمنون ايمانًا حيًّا وهو دم يسوع المسيح ابنهِ يطهر من كل خطية ١يو ١: ٧ ، لكننا لسنا نحتاج الى ان نتخلص من قصاص الخطية فقط بل نحتاج ايضًا الى ان نتخلص من سلطتها وهو الامر الاهم . فالقلب هو مصدر الشرور فيجب ان يتطهر بروح الله وهذا الروح يعطى جوابًا للصلاة

فلنصرخ مع داود النبي قائلين «قلبًا نقيا اخلق فيّ يا الله
وروحًا مستقيمًا جدّد في داخلي مز ٥١: ١٠» وعليه
قول المخلص «ان كنتم وانتم اشرار تعرفون ان تعطوا
اولادكم عطايا جيدة فكم بالحري ابوكم الذي في السموات
يهب الروح القدس للذين يسالونه
لو ١١: ١٣»

انتهى

الإزار القرنفلي

كانت ابنة اسمها وردة فقدت امها وهي في سن الطفولية وكان ابوها يحبها كثيرًا ويعزها كضياء عينيهِ وكان من عادة ذلك الوالد ان يذهب احيانًا ليعلّم سيدة كانت امراة حاكم انكليزي وياخذ معهُ ابنتهُ التي ما كان لها احد سواهُ فحصلت تلك البنت على حنو امراة الحاكم فكانت تسمح لها ان تدخل مخدعها وتناولها بعض المحالي واللُعَب فكانت تلك الايام سعيدة عند وردة

وقالت السيدة يومًا للمعلم ابي الابنة ان الحاكم يريد ان يسافر الى كشمير وياخذك معهُ فهل تريد ان ترافقهُ وتكون معهُ مدّة ستة اشهر يصرفها هناك

فلما سمع المعلم هذا امتلأ قلبهُ فرحًا لانهُ كان منذ زمن طويل يترقب الفرصة التي بها يمكنهُ ان يزور وادي كشمير الجميل ولكنهُ شعر بتعب حين افتكر في ابنتهِ

الصغيرة وصعوبة تركهِ لها. فقال اذا كنت اذهب ماذا يصير في ابنتي الوحيدة التي ليس لي سواها وهي لا لها ام ولا اخت لتعتني بها واذا تركتها ستكون مثل خروف ضال يمسي فريسة الذئاب. فقالت له تلك السيدة لا تخف على الابنة بل كن مطمئن البال من نحوها فاذا كنت تريد فانني عزمت على ان اضعها في مدرسة كاشبور لان رئيسة تلك المدرسة فتاة انكليزية وهي صديقتي فابنتك سوف تتعلم القراءة والكتابة وكلما هو حسن وموافق لان الفتاة المذكورة تخاف الله وتحب الاولاد الصغار

وعلى ذلك تم الرضى فذهب المعلم الى كشمير مع الوالي والابنة أُرسلت الى المدرسة في كاشبور

فذرّفت وردة دموعًا غزيرة عند مفارقة ابيها ولكن تلك الدموع نشفت حالاً فكانت الرئيسة تنظر اليها بحنو وتخاطبها بكلمات حلوة ومعزية فكانت وردة في اول الامر ساكتة وخافضة راسها من شدّة الحياء

ولكن قبل نهاية ذلك النهار فرحت ولعبت لانهُ كان لها عدَّة رفيقات صادقتهنَّ حالاً

ومن جملة مزاياها انها كانت مُولعةٌ بالكلام حتى انهُ في اوقات اللعب كانت الكلمات تفيض من لسانها نظير المياه المنحدرة من على راس تلٍّ فتكلمت كثيرًا في شان امراة الوالي حال كونها ليست معروفة عند البنات الأُخر ووصفت لهنَّ التحف العظيمة الموجودة في بيت تلك السيدة وكانت تبالغ في كلامها حتى تجاوزت حدود الصدق وصار سياق حديثها نظير شلالة ماء موحلة قذرة فانها قالت ان في يدي امراة الوالي خواتم لامعة اكثر عددًا من اوراق تلك الشجرة وزوجها رجل عظيم جدًّا وكل الذين يدنون منهُ يسجدون امامهُ على الارض وانهُ حين يذهب الى الخارج يركب في هودج ذهبي على ظهر فيل

فقد اخذ رفيقاتها العجب عند سماع قصصها والبعض ضحكنَ ودعينَ ذلك احاديث ملفَّقة وانما

الرئيسة ما ضحكت مطلقًا لما سمعت هذا بل تنهدت وظهرت على وجهها البسام علامات الغم فكانت تخلو بنفسها وتجثو على ركبتيها وتصلي للآب السموي قائلةً يارب اظهر لتلميذاتي الاعزاء فظاعة الكذب وعلمهنَّ طريقك واجعلهنَّ قديسات لانك انت قدوس

وحينما انت وردة الى المدرسة كانت لابسة ازارًا ملونًا بلون الفرنفل لم ترد الرئيسة ان تنظر اليهِ لان بقية البنات كنَّ لابسات ثيابًا بيضاء وقد طلبت من وردة ان تغيّر ذلك وتلبس عوضهُ ثوبًا ابيض بسيطًا

فأبت وردة اجابة هذا الطلب وقالت لا اقدر ان انزعهُ لان امراة الحاكم اعطتني اياهُ واوصتني ان البسهُ دائمًا قالت هذا والتفتت بهِ

ولما سمعت المعلمة هذا الكلام ما اجابت بشيء وصارت قلقة الفكر فقالت في قلبها لا اعلم أكانت وردة تتكلم الصدق ام لا فانني لا اثق بكلامها واحبها لكونها لطيفة وقابلة التقدم ومستعدة ان تبدو اللطف نحو كل

واحدة من رفيقاتها الاّ ان الولد اللطيف صاحب القلب الغاش هو مثل الثمرة التي تظهر بهجةً للعين واما داخلها فرثيثٌ مملوءٌ عفونة. وكانت المعلمة من عادتها ان تجمع البنات حولها بعد انتهاء اوقات الدروس وتتكلم معهنّ وهنّ يصغينَ برغبة ومرةً اخبرتهنّ خبر والدتها التي تركتها في انكلترا وانت لتعلّم اولاد الهنود طريق السماء.

وفي يوم من ايام الصيف الحارة كانت جالسة في غرفتها وحولها البنات اللواتي من شدّة الحر ما قدرنَ ان يخرجنَ الى خارج وقد شعرت بتعب واعياء لانها اتت من بلادٍ معتدلة الحر فكان لها حرارة الهند القادحة كانون نار الاّ انها افتكرت ان الرب قد اعطاها اولئك الاولاد اللواتي هنّ خرافهُ لتعولهنّ وترشدهنّ فارادت ان تعيش متغربة عن وطنها حتى الموت اذا كان الله ياذن لها في ان تقتاد اولئك الاولاد الى الرب يسوع الراعي الصالح الذي بذل نفسهُ لاجل خرافهِ

قالت وقد اخذت بيدها صورة والدتها العزيزة

اظن انها لا توجد امٌ احسن من والدتي الحنون المحبة لي للغاية فحدث انها اظهرت لي محبتها العظمى في ثلاثة امور وكلما تذكرت تلك الاسباب اشكر الله الذي منحني والدة تقية حنونًا كهذه

فكانت البنات تشتاق ان تسمع اكثر من ذلك من خبر تلك الوالدة ، ثم تفرست وردة الصغيرة في وجه معلمتها وهي جالسة بجانبها وقالت اخبرينا بتلك الاسباب التي حملتكِ على محبة والدتكِ

فقالت انني ساخبركنَّ وانتنَّ احكمنَ بتلك المحبة العظمى التي احبتني اياها

السبب الاول هو اني حينما كنت مريضةً بالجدري بقيت والدتي تحرس فراشي يومًا وليلةً بطولها وكلما فتحت عينيَّ بعد نوبة الحمى كنت اراها في وسط الليل بجانبي وفي يدها الادوية وبعض المشروبات المبردة وهذا كان دابها في كل مدة مرضي ولولا حسن ادارتها واعتنائها لكنت بالحقيقة فارقت الحياة . افليست تلك المحبة التي

جعلتها تراقبني وتحرسني هكذا محبة محبة خالصة وصادقة

وعند ذلك توقفت قليلاً والبنات اللواتي سمعنَ ذلك اجبنَ قائلاتٍ انها لمحبة عظيمة جدًّا

ثم قالت والامر الثاني هو انهُ في احدى الليالي الشتوية بينما كنا مضرمين النار للاستدفاء نظرتُ على الرف الذي فوق النار صورة مائلة للسقوط وكنت لا استطيع الوصول اليها بدون واسطة لكونها عالية واذ ذاك صعدت على كرسيٍّ لاضع تلك الصورة في مكانها لئلا تقع وما عرفت ان ثيابي لامست النار لما كنت واقفة على الكرسي ثم التفتُّ واذا النار اشتعلت في ثيابي واللهيب التفَّ حولي وعندما رايت ذاتي هكذا ارتعدت فرائصي وجلب عويلي المتعالي والدتي لمساعدتي فطرحتني حالاً على الارض ولفتني ببساطٍ وقد اطفأت النار بيديها العزيزتين اللتين لُفحتا بذلك . ولا انسى ابدًا كيف انها ضمتني بذراعيها الى صدرها وبكت وشكرت الله الذي قدَّرها على انقاذي من الموت المخيف . فكانت متالمة

جدًّا من احتراق يديها الاَّ انها لم تبالِ بالالم

وعند ذلك قالت كل واحدة من البنات يالها من محبةٍ فائقة الوصف

ثم قالت والسبب الثالث اعظم من الاولين لان والدتي خلصتني من مصيبةٍ اردأ من الحمى والنار . (فانتبهت حينئذٍ كل واحدة من البنات باصغاء متعجبة ومتفكرة في ما يكون اردأ من الحمى والنار) . وهو انها في احدى المرات لطمتني لطمةً قوية لاني تكلمت كذبًا فالبنات كنَّ شاخصات الابصار نحو معلمتهنَّ ومدهوشات حتى لم تكن واحدة تنطق بكلمة سوى ان وردة ابتدات تضحك اذ استغربت ان الضربة برهان على المحبة العظيمة

فقالت المعلمة آهِ ان لاشيءٌ احبُّ اليَّ من تذكري حزن والدتي حينما وجدت ابنتها الصغيرة تنطق باطلاً وكذبًا فان غمها والم قلبها كانا اشد من الم النار التي لفحت يديها وقد اخبرتني والدموع تنسكب من عينيها ان

الشفاة الكاذبة مكروهة عند الرب والكذابون
سيطرحون خارج السماء وقاصّتني ولكن لا بغضب بل
بحزن عظيم وحبٍّ وحينئذٍ جثونا معًا وابتدأت تطلب
من الله ان يطهرني من الخطية بدم ابنهِ العزيز الرب
يسوع المسيح ذاك الذي وحدهُ يرفع الخطية وكانت تصلي
بحرارة والدموع تسيحُ على وجنتيها حتى يعطيني الله لاجل
الرب يسوع روحهُ القدوس ليجعل قلبي الملطخ بالاثم
طاهرًا ونقيًّا ويرشدني الى كل حق وانا لا انسى ذلك
اليوم ولم ازل اتذكر ذلك القصاص وتلك الصلاة .
فاشكرها لانها قاصتني واشكر مراحم الله لانهُ سمع الصلاة
واؤكد لكنَّ انني منذ ذلك الوقت ما نطقت بكلمة كاذبة
والآن يا اولادي الاعزاء قلنَ لي أما كان عمل والدتي
نحوي في هذه المرة يظهر لي حبها الخالص اكثر من
اعتنائها بي وقت المرض وتخليصها حياتي من الحريق
فبعض البنات صدَّقنَ هذا القول الاَّ واحدة منهنَّ
فقالت هامسةً صوتها ان ذلك لم يظهر لي

فقالت لها المعلمة وقد سمعت همسها قصدت بهذا ان شر الخطية اردا من الحمى ونار غضب الله التي تعذّب النفس اردأ من النار التي تحرق الجسد فقط. نعم انهُ امرٌ مؤلم لوالدتي ان تعاقبني الاَّ انها مع كل هذا قاصتني ولم تجنب هذا الالم كما انها ما تجنبت ذلك الالم عند ما طرحتني على الارض وكانت تطفئ بيديها ثيابي الملتهبة

فكان البنات يصغينَ بانتباهٍ ورغبةٍ ولكن المعلمة تيقنت ان وردة ما كانت مبالية بهذا الارشاد الجيد لان عينيها كانتا تراقبان الصورة التي لم تزل في يد المعلمة. وبينما هنَّ متفكرات في التعاليم الصادقة التي كانت تبثها معلمتهنَّ سالت وردة سوالاً لا اهمية لهُ وهو انها قالت أذهبٌ حقيقي اطارُ (برواز) هذه الصورة ام لا

فوا اسفاه انهُ حينما يتكلم خادمو الله بامر السماء والطريق التي تؤدي اليها والحقائق الاخر الرهيبة الموقرة ترى بعض الذين يمكنهم ان يصغوا ويتعلموا ينتبهون لاشياء زهيدة لا طائل تحتها فيشبهون انسانًا قُدِّمت لهُ

ماسة فحوّل وجههُ عنها واسرع ليصيد فراشةً او مثل انسانٍ هارب قدّام نمر وقف ليقتطف زهرة في الطريق

وبعد ما قالت المعلمة هذا بايام قليلة اتت صديقتها امراة الحاكم لزيارة المدرسة في كاشبور . وبسهولة يتصور الانسان ان وردة كانت فرحة فرحًا لا يوصف عند نظرها تلك السيدة المحبَّة

ولاجل اكرام الزائرة وعدت المعلمة تلميذاتها بوليمة من الاثمار فشرع السيدتان تمشيان معًا على سطح القاعة المجتمعة بها الصفوف وبينما هما مقتربتان الى حيث وردة واقفة وقلبها يطفح سرورًا قالت المعلمة لصديقتها هذه هي صغيرتكِ وردة لابسة الإزار القرنفلي الذي اعطيتها اياهُ واوصيتها ان تلبسهُ دائمًا كما قالت

فالتفتت السيدة امراة الحاكم بتعجب وقالت انني ما اعطيتها ازارًا ملونًا قط فياترى ماذا جعل هذه الابنة المحتالة تفوه بكلام الكذب

فهل تظنون ان تلك الابنة احمرَّ وجهها من شدَّة

الحياء وخفضت راسها من الخجل عند ما انكشف ذنبها وظهر نفاقها كلاً فانها كانت معتادة ان ترتكب الكذب من صغر سنها حتى انها ما شعرت بحزن او بخجل لاجل الخطية غير انها كانت متكدرة لكون معلمتها عرفت كذبها. اما وردة وان تكن ما اعتبرت هذا الامر فمعلمتها اهتمت بهِ اهتمامًا عظيمًا واخذت تفتكر كيف تستطيع معالجة هذه الابنة المسكينة وردعها عن تلك العادة المضرة . فنظرت اليها وقالت ياوردة انني مغمومة جدًّا لكوني وجدتكِ قد اخبرتِني بخلاف الواقع ولهذا لا يكون لكِ معنا نصيب في الوليمة فامضي الى مخدع النوم حالاً وانا لا اكون صديقتكِ المخلصة اذا كنتُ اهمل امرًا نظير هذا

ثم صارت وردة تصرخ وتشهق لا لحزنها على الخطية بل لانها خسرت الوليمة وأُرسلت قبل الوقت الى فراشها فقبضت على يديها بشدَّة ونظرت الى صديقتها امراة الحاكم كانها تستغيث بها وتلتمس منها الشفاعة ولكن تلك

السيدة نظرت اليها عابسةً وهزّت راسها متعجبة من كذبها

وبما ان وردة المسكينة كانت معتادة الكذب منذ ولادتها ما امكنها الآن تعتقد ان المعلمة ظلمتها بما فعلت وانهُ لو كان كذبها سبّب اضطرابًا لاحد او لو كانت قد تكلمت زورًا على احدى رفيقاتها لفهمت انها ارتكبت خطية. وقالت في نفسها ما الفرق بين قولي الصدق ان ابي اعطاني الازار وقولي الكذب ان امراة الحاكم اعطتني اياهُ

وبينما هي ذاهبة الى فراشها سمعتها المعلمة تبربر بين زفيرها وشهيقها وتقول لماذا كل هذه الامور والقصاصات واي ضرر نتج من هذه الكذبة انها شيء صغير لا يُلتفَت اليهِ

وحينئذٍ تمّت استعدادات الوليمة وكانت الازهار الجميلة منثورة حول المائدة وعلى الارض ذات منظر يشرح الصدر وتلك الساعة كانت ساعة سرور عند

الجميع الاَّ ان البعض من البنات حَزِنَّ لوردة التي أُرسلت الى فراشها لتفتكر في كذبها ولكنهنَّ نسينَ تلك المسكينة حالاً

فتاملوا الآن كيف ان تلك الابنة الشفية الكاذبة احتملت ان تسمع وهي في فراشها صوت ضحك وطرب واغاني رفيقاتها فاضطجعت صارخة ونائحة عند سماعها ذلك لانها حُرِمت مجالستهنَّ والتمتع معهنَّ

وبينما كانت المعلمة جالسة مع صديقتها وتلميذاتها حول المائدة متمتعات بالاثمار التي امامهنَّ طرق اذنيها صوت صراخ بغتةً من مخدع وردة وكان ذلك الصراخ ناتجًا عن الم او رعب وبما انها كانت تحب الابنة محبة شديدة تركت الوليمة وركضت بسرعة لتنظر الامر وحين وصولها رات وردة جالسة في فراشها مصفرَّة الوجه من شدَّة الرعب وهي متفرسة في عقربة سوداء صغيرة كانت تدب بسرعة على الارض فحالما وقع نظر المعلمة عليها رفستها واماتتها ثم التفتت نحو وردة وقالت لماذا كنتِ

تصرخين هكذا

فقالت وردة وهي مرتجفة ومرتعدة من تاثير الخوف انهُ كان على فراشي عقربة وحالمت رفعت يدي سقطت على الارض

قالت المعلمة ان المسئلة لا تحتاج الى كل هذا ثم امرت البنات اللواتي حضرنَ على الصراخ بالخروج لانها كانت تحب ان تكون وحدها مع وردة . فقالت وردة وهي مدهوشة كيف استطيع ان احتمل امرًا كهذا لان العقربة المخيفة يمكن انها تلذعني . فقالت لها المعلمة حينئذٍ ببرودةٍ وهي جالسة على حافة الفراش واي ضرر يحصل من ذلك

فصاحت وردة وهي متعجبة جدًّا وقالت ألا يحصل ضرر من لذعة العقربة الرديَّة السامَّة المؤلمة . فتفرست المعلمة في وجه الابنة وقالت ولكن العقربة صغيرة للغاية

ان وردة ما كانت تعرف لماذا لم يكن لهذه الحادثة ادنى اهمية عند معلمتها حال كونها هي لم تستطع الهدوَّ

بعد ذلك

فقالت لمعلمتها ياليتكِ تفتشين هذا المكان وكل زاوية منهُ ولا تعجب من انكِ تجد بن جملة عقارب مخبأة في ثقبٍ في جدرانهِ . فقالت المعلمة هذا ليس ببعيد لان هذا زمان العقارب والحشرات وانني نظرت فراشة في الليلة الماضية فاريد ان افتش عنها ايضاً في دار المدرسة فصرخت وردة قائلةً اتفتكرين في الفراشة والعقارب في هذا المخدع

كل هذا والمعلمة لم تظهر المبالاة بالخطر الذي كان محيطاً بابنتها الصغيرة المسكينة

ثم تغير الحال وانقلب ذلك التهاون وتحولت البرودة وعدم الاكتراث الى حرارة ومحبة وحينئذٍ مسكت في يد وردة المرتعدة واشارت الى العقربة التي كانت قد امانتها وقالت يا ابنتي انظري هذه الدويبة السامّة فانك ترين صورة خطية كذبكِ . ان العقربة تضر الجسد فقط ولكن الكذبة تضر النفس . فليس هو الاّ جاهلاً وغبيّاً

الذي يلعب مع العقربة ويقول انها شيء زهيد عوضاً عن ان يدوسها ويميتها وليس هو الاَّ احمق الذي يسلي نفسهُ بالفراشة والحشرات السامَّة بجانبهِ. فياوردة كم من الكذبات التي هي اشد كراهة من العقارب قد كانت كامنة في صدركِ وخارجة من شفتيكِ وتحسبينني ظالمة وقاسية لاني اسحقهنَّ واميتهنَّ ولاني احذركِ من الخطية التي الله يكرهها انكِ كنتِ حزينة حين حرمتكِ الوليمة الارضية الزائلة لكن افتكري في شرّ حرمانكِ الابدي للسماء وبهائها ومجدها وفرحها لانهُ مكتوب في كلام الله المقدس ,, ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً ,,

ان كلمات المعلمة في هذه المرة اثَّرت في وردة وقد تعلمت كيف تصلي لغفران الخطية الماضية ولطلب روح الله القدوس الذي بهِ وحدهُ تقتدر على غلبة الخطية في المستقبل وقد تعلمت صلاةً قبلما ذهبت لتنام تلك الليلة وتذكرت هذه الصلاة ايضاً عند ما رات عيناها نور

الصباح وبينما هي تصلي لله لكي يجعلها صادقة وطاهرة غصبت ذاتها وقاومت ارادتها بشدة لتكون صادقةً. فنظر كل رفيقاتها تغيرًا عظيمًا فيها فكان وجهها يتلألأ بالاشراق وقلبها ينمو في الطهارة. فاننا لا نكون سعداء ابدًا الاَّ ونشعر برضى الرب علينا. ولم يكن في المدرسة من يوثق بكلامها وتُحَبُّ اكثر من وردة التي كانت عادتها استعمال الكذب دائمًا وصارت كلما تكلمت بشيء مهما كان عجيبًا تُصدَّق حالاً. ومن ذاك الوقت ضرب بصدقها المثل بين معارفها فكانوا يقولون برتاب

الانسان في شهادة عينيه ولا برتاب

في شهادة وردة

فهرس

	وجه
الفصل الاول . الحلة البهية	٣
٢ . الكنيسة التي بُنيت من لبنة واحدة	٢٣
٣ . العمامة المطرزة بالذهب	٦٠
٤ . مثل ثلاث الجواهر الياقوتة واللؤلؤة والماسة	٨٣
٥ . تابع مثل الجواهر الثلاث	١٠٨
٦ . السياج المنقوض	١٣٤
٧ . النور في الظلام	١٥٦
٨ . مثل الورقة	١٧٦
٩ . اللغة القديمة على الارض	١٨٣
١٠ الوصايا العشر	١٨٩
الازار القرنفلي	٣٣٧

030072606

GR 275
.K58

OCT 31 1972